رسالة فى الحوار الفكرى

بين الإسلام والحضارة

الدكتور
محمد إبراهيم الفيومى

عالم الكتب

رسالة فى الحوار الفكرى

بين الإسلام والحضارة

الدكتور
محمد إبراهيم الفيومى

الناشر
عالم الكتب
٣٨ عبد الخالق ثروت القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ : أَحَدُهُمَا : أَبْكَمُ ، لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ
وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ، هَلْ يَسْتَوِي
هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ؟

سورة : النحل : آية ٧٦

بين يدي القارئ

قصيدة: القنديل الأزرق

أهداها إلينا

الأستاذ الشاعر الدكتور/ محمد فوزي مصطفى

القنديل الأزرق

فى عينى يا زمنى قنديل أزرق
وسنا القنديل هموم تترى
وضباب من آهات الغربة
فطريقى يا بلدى أعمى
كسفين تاه عن المرسى
والتيـه الأوسع من حـولى
أيام بلقـــع تطوينى
أواه الريح تعرينى
ويقطع لحمى فى جب الموج الهادر
مجـداف أهـــوج
يسقينى مر المنفى من ذاتى
والصمت يطوقنى بالدونيه
ورحالى أبديـــة
من قيدك يا «اسبارطاكوس»
أدمانى يوم حصار « اشبيلية »
والليل عرفناه فى التبغ المزروع « بفرجينيا »
حتى اللحظة .. فصرير النعل الصهيونى حول الصخرة
يدمى جرحا محفورا بالعبرية
فالأخرس عبد يا أبناء السلبية ،
مهداه الى صديقى الانسان المفكر ذى الرأى الحر فى زمن الرماد
الدكتور محمد ابراهيم الفيومى مع خالص التحية والمودة .

محمد فوزى

صورة منزوعة الأصل

لا يأخذك الفزع منى ، وأنت تصرف معى وقتا فيما أقدمه بين يديك من ملامح صورة منزوعة الأصل عن شخصيتنا خارج ديارنا •

شاء القدر أن أسافر الى بعض البلاد العربية ، أستاذا فى بعض جامعاتها، وأنا أكره السفر كرها شديدا ــ ولو كان داخل وطنى ــ وسواء كان السفر قاصدا ، بعيدا ، أو قريبا ، وان كنت من المعجبين بأدب الرحلات ، فان ذلك لا يمنع تزايد مشاعر الكره ، وألم حدتها ، كلما طرق بى طارق السفر ، ولو تيسر لى سبيل الاعتذار عنه لاعتذرت • فالسفر لدى ــ من واقع حالى ــ عامل منبه لمشاعر : التوتر ، والآلام ، بل ان شئت قلت : هو العذاب • فهو يجعلنا أكثر حاجة الى مشاعر : التآلف ، والاجتماع والتضامن مع بنى وطننا فى بلد الظعن ، والاقامة ، مشاعر يطلب بها الانسان المغترب أخلاقا تتناسب والغربة، يبرز فيها بشكل مؤكد ، معانى : الولاء ، والانتماء ، كما لو كنا اخوة متحابين ذوى لحمة وشائجها النسب ، والقربى ، وان نأت بنا ديارنا فى أوطاننا •

واذا لم تقض أخلاق الغربة بين أهل الوطن الواحد فى بلد الغربة أو الهجرة بحميد الأخلاق ، فتظهر فيهم مشاعر : الانتماء ، والارتباط ، والانسجام، بنسب متزايدة ، فسوف تفترس المغترب مشاعر:الغربة الاجتماعية ، وأمراضها من القلق ، والتوتر ، ويطويه الاحباط داخل عزلتهالمقيتة ، والأليمة معا • أو يموت فى داخله المعانى الانسانية الرفيعة ، فتظهر لديه ميل الى أخلاق الضعفاء،

القائمة على النفاق ، والتملق ، والمداراة ، والمواراة ، ليقضى بها حاجـــاته وأهدافه التى تحولت مع أخلاقه : الى نفع مادى ٠

ويترجح ـ في نظرنا ـ أن قسطا كبيرا من أخلاق الضعفاء ـ ضعفاءالنفوس ـ يقوم على حيل ذكاء ممتع يرى فيها صاحبها أنه « ضحك على الدقون » مثلا سائرا ٠ وأما أصحاب السند فيداخلهم الغرورالزائف حين يخيل اليهم أنهم يأوون الى ركن شديد ، قوامه : القوة ، والجـــاه ، وذوو منبهه فى الهيئة الاجتماعية ، لا يلبث أمامهم متملقيهم الا أن يقفوا منهم موقف الرجاء والاستجداء فى كل ما يحكمهم من علاقات ، والانسانى منها الذى يقوم على تبادل الاحترام والتقدير ولوا وجوههم عنه ، واعتبروه «شيكا» بلا رصيد ٠ وطاب لأصحـاب السند أن يتركوا أنفسهم للمتملقين ـ حين جفاهم الاعتبار الانسانى ـ يفسدونهم ويستبدلون براءتهم بمراءاه مربحة ٠٠

لا شك فى أن مجتمع الغربة اذا ساده مغلوط القيم ، ومرذول السلوك فسوف يعتزله أناس على كره منهم ، يحبون أن يحيوا فيه حياة الصمت ، وحياة الصمت تلتئم بالنسك والعبادة حياة لا لغو فيها ولا تأثيم ٠ وهؤلاء الذين أثرو حياة العزلة على مراءاه مربحة ـ الشرط الأول للقداسة بين هؤلاءالاناس ـ سينالهم مقالات الزور ، والمين ، من أولى الاربة المبغضون من أنفسهم ، ومن الناس ٠

انها مشاعر أفكر فيها دائما ، ويبدو أنها لا تجد غيرى يتجاوب معها اذا حضرنا الى تلك البلاد ، ووفق رسالة صديق بعث بها الى صديقه يقول فيها : سلامى الى مجمع الأنس فى الود ، والتعاون والصداقة ، والزمالة ، فى ذاته يوم طرحت سؤالا ، أقول فيه : لماذا حضرنا الى تلك البلاد ؟

طرحت هذا السؤال وسط مجمع الأنس من الصفوه ، كما وصفه صاحب الرسالة السابقة ، وفى صمت بالغ هيآت ذهنى ، ليتلقى جدلا ، ونقاشا حول ذلك السؤال ، ووفق التفكير العربى فى تشبثه بمنطق التبرير ، وثنائيـه الظاهر ، والباطن ، وجدت وجهين للاجابة : وجه نرضى به أنفسنا ونخفيه ،

بوجه نروجه بيننا ونشيعه في الناس ، وما يؤرقني أنهم يتشبثون بالوجهين معا ، انما استعدادهم على نفي أحدهما كلما اقتضتهم الحاجة نفيا ، أو اثباتا • انهم بين الناس ، يشيعون رسالة الاسلام ، ويثبتون ذلك بكل ما يملكون من بيان القول وعظا ، أو من برهان الحجة منطقا ، يقول علماؤنا : ان المنطق عصمة الذهن عن الخطا في الفكر ، وتجربتي تسألني : متى كـــان المنطق عصمة ؟ وفي باطنهم ـ بالرغم انهم يكثرون الحديث عن رسالة الاسلام ـ يحرصون على الوجه الآخر وهو طلب المال والحرص الشديد عليه • نحن لا نلقي عليهم باللائمة أو نتأثم معهم القول ، كما يتأثمون مع أنفسهم حين يبطنون حرصهم الشديد على جمع المال ، ويعلنون ظاهرا الدعوة الاسلامية ، نقول : أنه لا يمنع أن يشد القوم رحالهم وراء المال ، لكن لماذا تخفيه ؟

لا شك ان مشاعرنا الحقيقية نحو الأشياء ، توجب علينا : أن نهرب منها ، وفي الهرب المعنى الحقيقي لسلبيتنا ، لكن الى متى نظل نلوذ من حقيقتنا بالهرب ؟ على أي حال ـ ومن واقع طبيعتنا ـ أننا مقبلون على رؤية منزوعـة الغطاء ، قوية البأس ، ولا اختيار لنا فيها ، وفي هذا عوائق حقيقية لا يمكن المجاهرة بها أمام مهمتنا الاصلاحية ، والغريب أنهم لا يكفون عن التحدث في تلك المهمة ، ويجعلوها بوقا لهم يكثرون فيه القول ، ويشكلون مواقفنا أمامها • فمثلا ، لهم موقف ، يوصف : بالمهادنة مع الرأسمالية ، وموقف : يتردد بين الرفض ، والقبول مع الاشتراكية ، وموقف وعظي مع الاسلام • مواقف تنم عن ذاتية ، تحجب الحديث عن الذات ، ومع الذات ، ترفض الحـــوار مع الآخرين وتوقعهم في محاور •

وكانت النتيجة الحتمية لهذه الثنائية ، والازدواجية في طابع تفكيرنا ، التباين في سلوكنا وجدت ظاهرة التوزع في ذات العربي ومؤسساته ، وغابت الشرعية الدستورية ، وضمانات الحريات الانسانية • لذلك ينبغي أن تكون حرية الفكر ، والقول غير محدودة للانسان المثقف ، اذا أردنا الطريق الجيد غير المحفوف بالتغيرات المفاجئة التي تهز الكيان الانساني والاجتماعي ، واذا أردنا أن نوفر على العقل جهده الابداعي ، فلا يبدد طاقاته في النضال من أجل

بقاء كيانه الفكري بعيداً عن حمى الوصاية والأوصياء حتى يظل حقل التحرير مفتوحاً عليه ·

وأنا من الذين يحبون الحرية ، ويرون نفعها مثمرا : للآداب ، والثقافة ، والفكر وللدولة ، وبقدر ما تكون الدولة حرة ، تكون مثقفة ، وبقدر ما تكون مثقفة ، تكون قوية ، وان أي قانون يصنع ليحارب به الحرية لا يمكن أن ينفذ الا عند ما تكون الدولة كلها تساعد على الغش ·

ولقد حرص الاسلام عليها منذ جاء فكافح في سبيلها ضخامة من القوى الغامضة ، وقلل من شأن الانسان الذى حجب عقله مالوف الاعراف ، ومرذول العادات ، فحق للعقل قدره وحق للانسانية أقدارها · وكم نعى الاسلام على التقاليد التى تصنع حواجز بين العقل ورؤيته للاشياء ، وبين مبادىء القيم وممارستها · ونعى على الانسان الذى أناخ فيها عقله ، ولا يود أن يصعدمنها الى سطح الطبيعة ومرآها ، وعلى الانسان الذى تقوده تقاليده الى حيث تريد ، ولا يستطيع الى مخالفتها من سبيل وهو يحس معها بياس شديد ، بأسا شديدا فى نفسه ، بأسا شريد فى عقله ، بأسا شديدا فى كيانه الانسانى ·

تلتقى هذه الصورة مع موضوعات الكتاب التى تتحدث عن التوزع العربى ·

ولما كانت موضوعات هذا الكتاب محاضرات قد حاضرتها فى جامعة قطر بعضها على الطلبة والطالبات وبعضها الآخر فى موسمها الثقافى الثامن ، فانه يجب علينا أن نقدم خالص الشكر والتقدير الى جامعة قطر ومديرها الاستاذ الدكتور محمد ابراهيم كاظم والدكتور عبدالله الكبيسى مساعد مديرها اللذان حرصا كل الحرص على ارساء القيم الاسلامية والانسانية بارزة فى مناهجها ، وضاءة منيرة ·

كما أحب فى هذا المقام أن أقدم خالص شكرى لأديبين من أدباء العربية الأشقاء : أحدهما : من ابنـــاء الوطن السودانى وثانيهما : من أبناء الوطن السوري ·

أما الأول : فهو الدكتور الشاعر : محمد فوزى مصطفى مدرس الأدب الحديث بجامعة قطر له مؤلفاته فى الثقافة العربية ، والأدب وتاريخه ، ومن المهتمين بشئون الانسان العربى وهمومه · أهدى الينا قصيدة : القنديل الأزرق تتحدث رمزيتها فى هموم العربى ، رأينا بعد أن اذن لنا أن نثبتها تمهيـــدا لكتابنا الذى يتحدث فى هموم دارنا العقلية فله خالص التقدير ·

أما الثاني : فهو الاستاذ الأديب الناقد : حسان عطوان باذاعة قطر ، نه قلمه فى الصحافة العربية ، يلتهب حماسا ، ونشاطا ويتميز بالمتابعـة النادرة لمشكلاتنا المعاصرة : الثقافية ، والفكرية ، وهو من الذين يحترمون القلم ، ولا يرون معه لهوا ، أو تسلية ، أو تكسبا ·

لقد جمعت بيننا ــ كشأن الانسان العربى ــ أهداف مشتركة : ثقافية ، وفكرية ، ظهر ذلك حين القيت محاضرة: «سيكلوجية الحوارالفكرى بين الشرق والغرب » حرص كل الحرص على متابعتها بمقالات ضافية ، اخترت منها لنشره : مقالا ، وتحقيقا أجراه معى ، نشرها فى بعض الصحف العربية كما أقدم تحياتى للاستاذ صلاح خليفه ، باذاعة قطر الذى أجرى معى حـــوارا حول الموضوع ننشر بعضه ···

وباللـــه التوفيق

مصر الجديدة فى ٢٢ ــ ١٠ ــ ١٤٠١ هـ الموافق ٢٢ ــ ٨ ــ ١٩٨١ م

مفارقات ومقارنات

في الشخصية الأوربية والشخصية العربية

بدأت أزمة الفكر التكنولوجى مع الدين ، كدين : آبان النهضة الحديثة ، بمعنى : أنه كان هناك طبقة دينية تحكم ، وتسيطر على الكنيسة فى جميع اتجاهات المجتمع ، فكانت الطبقة الدينية الموجودة فى أوربا تمثل فى الهيئة الاجتماعية ، الطبقة الأولى مع « طبقة الفرسان » هما معا تربعا على قمة السلم الاجتماعى فى المجتمع الأوربى ، ولأجل أن يحافظوا على مركزهم الطبقى فى الهيئة الاجتماعية ، شرعوا بعض التشريعات التى تخدمهم كطبقة دينية ، من غير أن تخدم الدين ، والمتصفح لهذه التشريعات ، يجد أنها كانت بالدرجة الأولى تعنى الحفاظ على وضع رجل الدين فى الطبقة الاجتماعية ، وفى نفس الوقت ومن غير ما يشعرون وهى تحافظ على الكيان الاجتماعى لرجل الدين ٠ كانت من طريق آخر ، تلطخ سمعة الدين وسمعة الكنيسة نذكر منها : صكوك الغفران ، يعنى تشريعها : أن الكنيسة لها حقها المقدس كخليفة فى الأرض أولاها الله العصمة وأعطاها السلطة ـ أن تمنح الانسان الذى تحبه طريقه الى الجنة أو طريقه الى النار لقاء ما يقدمون من مزايدات مالية ، يعنى أصبحت الجنة والنار ليست كما جاءت فى الكتاب المقدس تمنح للاعمال الصالحة انما هى لرجال الكنيسة تباع لأغنى الناس ويحرم منها فقيرهم ، هذا البند ، بلا شك ، يخدم الطبقة الاجتماعية ، من حيث المحافظة على مستواها المادى ، ولا يخدم الدين ، كما أنه يحافظ على عضوية رجل الدين من حيث أنه يمثل الطبقة الاجتماعية فى أعلى قمة الهرم الاجتماعى فهدف هذا البند هدفا ماديا بحتا ٠

البند الثانى من تشريعات الكنيسة : حق الاعتراف لرجل الدين ، يعنى أن الدين فى أبسط أهدافه ، يحاول أن ينظم علاقة الانسان بالله ، غير أن الكنيسة تدخلت فيما هو من شأن سلطة الاله ، ووضعت نفسها بين علاقة الانسان وبين الله ، ووقفت فى الوسط ، وفق هذا البند ، وقالت اذ كان للانسان حق التوبة فلا تقبل الا بالاعتراف للكاهن ٠

البند الأول كان يمنح الجنة للاغنياء ويحرم منها الفقير فاذا الفقير محروم فى الدنيا وفى الآخرة وهذا مما زاد تعاسته على الأرض وجعل لثورته شرعيتها على رجال الكنيسة ٠

البند الثانى : وهو حق الاعتراف المقدس لرجل الكنيسة نجد أنه يحافظ على رجل الدين فى هيئة الاجتماعية ويضر بالدين والانسان ٠

هذه التشريعات لم تكن مفيدة للدين ، بقدر ما كانت مفيدة لرجال الدين ، أما الدين ذاته ، فضلا عن أنه لم يكن دينا يمثل وجهة نظر الوحى من حيث هو وحى ، انما كان مزيجا واخلاطا من فلسفات بعضها : رجعى ، وبعضها : قديم ، مع بعض التحريفات التى ورثتها الكنيسة من جامعة الاسكندرية القديمة ، واستبعدت الكنيسة تماما وجهة نظر الكتاب المقدس واستعاضت عنه تعريفات من الفلسفات القديمة مع بعض اجتهادات الكهنة من داخل الكنيسة نفسها ٠

وبالتالى وحتى لا يوجه اليها نقد ٠ حرمت قراءة الكتاب المقدس حتى لا يجد الانسان ان بين الكنيسة ، وبين دين المسيح فجوة واسعة ، وكلما كانت المقدمات سيئة ، فلا بد أن تكون النتيجة سيئة ، وهذا تقدير سليم للعقول السليمة فلابد أن تقوم ثورة تصحيحا لأوضاع معكوسة وفعلا قامت ثورة من داخل أوربا على الكنيسة ومن داخل الكنيسة على الكنيسة ٠ بمعنى أنه قام رجال مصلحون من داخل الكنيسة مثل (مارتن لوثر) هو قديس المانى قام بثورته ذات الاصلاح الدينى ، اذا كان هناك فى داخل الكنيسة ذاتها بعض الآباء المخلصين الذين أرادوا أن يخدموا الدين من غير أن يجندوه لمطامعهم

الشخصية • وأن يخدموا الدين لذات الدين ، فمن هنا قام الدين ينفسه ثائرا على عوائق تحقيق العدل الاجتماعي ، والحرية الفكرية ، وتصحيح عمـــل القيادة الدينية . وعندما قامت الثورة قامت على أساس أن الكنيسة بتصرفات رجالها لطخوا من سمعتها ، فلم يبق أمام الرجل الأوربى ، الا التغيير ، وعادة التغير له منهجين : منهج التغيير التدريجى ، وهذا مستبعد ، لأن الظروف أصبحت معقدة • أو التغيير الثورى وهو الذى كان موجودا أمام الرجل الأوروبى، فقامت الثورة الأوروبية عن بكرة ابيها محطمة نظام الكنيسة ، وعـادة الانسان اذا ما كان منفعلا ، فانه لا يستطيع وزن الأمور على حقيقتها ، انما سوف ينقاد مع غضبه ومع سخطه ومع عنفه ولا سيما وهو فى عنفوانه من غير ان يميز بين الأمور وهذا ما وقع فما استطاعت الثورة حينئذ : ان تفرق بين الدين ، وبين رجل الدين ، وأخذت بوجهة نظر الكنيسة وهى : أن الدين هو رجل الدين ، هذه الرؤية حاول رجل الدين ، من خلال تربية رجعية ، أن يعلمها للشعب أى أن الدين هو رجل الدين ، وأن طبقة رجل الدين هى الطبـــــقة المعصومة ، عندما قامت الثورة لم تكن الأمور محددة كما ينبغى أن تكـون لسيطرة الانفعال والنوبات العصبية واذا سيطرت فعلى الحكمة ان تغيب، وغابت الحكمة تماما عن التيار العقلى الثورى أبان النهضة الحديثة ، فقامت الثورة ، واستبعدت رجل الكنيسة ، ومعه الدين ، والطبقية بكامل هيئتها ، وما كادت أن تستقر الثورة الا وقد واجهت سؤالا له شرعيته وهو : اذا ما استبعدنا الكنيسة كمؤسسة من المؤسسات الثقافية والعلمية كمنهج موجـه للانسان فكيف نبدأ طريقنا ؟ علامة استفهام طرحت نفسها على رجل الثورة الأوربى ، كيف يقود الانسان حضارة استبعد منها الكنيسة كمؤسسة ثقافية وتربوية مهيمنة فى نفس الوقت على شؤون المجتمع ، كيف يبدأ الانسان طريقة الحضارى بعد ما انسلخ من الكنيسة ؟ •

هل يمكن أن يستقل الانسان بمسيرة الحضارة دون أن يحتاج الى توجيه من الكنيسة ؟

أمر الانسان على أن يسير فى طريقه بعيدا عن الدين الكنسى وبعيدا عن الكنيسة ، ومهما اختلفت الاجابة فانهم اتفقوا على أن الرائد الأول الذى سوف يرث سلطان الكنيسة ، ورهبوتها أو طاغوتها : هو العقل من غير تحديد لمفهومه، اذا أصبح العقل موجه لشئون الانسان فى مستقبل حضارته بدل ما كانت الكنيسة هى المؤسسة الثقافية المهيمنة على شئون المجتمع الثقافية والعلمية أصبح العقل من خلال ورقة العمل الفكرية التى طرحها كبار المفكرين من حيث هو عقل انسانى هو الذى سوف تؤول اليه سلطة الكنيسة كمؤسسة ٠

أما شؤون الاخلاق قالوا أنها لابد أن تستمد سلطتها من الدين ، وكان البقاء على الاخلاق الدينية الكنيسية فى نظر ثوار أوربا معناه : انهم رضـــوا بالمساومة فى الحلول ، بمعنى : أن العقل سوف يهيمن من جانب على الشؤون الحضارية ، والدين يهيمن على الشؤون الاخلاقية ، لكن ثوار أوربا عندما غابت الحكمة ، تربعت الاهواء وساد العنف ، فصمموا على رفض الدين كذلك فى هذا الجانب حتى لا يكون للكنيسة سلطة على مستقبل الانسان الحضارى ٠ والى أى شىء يؤول أمر الاخلاق ؟

قالوا : تؤول الى الضمير ، فالعقل يؤول اليه السلطة الفكرية ، والضمير تؤول اليه السلطة الاخلاقية ، واطمئنوا الى تلك الحلول المطروحة ، وكان الثورة من وجهة نظرها حققت نجاحا كاملا ، وشاملا ، حين استبعدت الدين من المجال الاخلاقى ، واحلت محله الضمير الذى يتشكل بتشكل بيئته ٠

نريد أن نصل الى قضية النزاع بين الدين والتكنولوجية المعاصرة بعد ما آل امر الفكر الى العقل ، وسلم أمر الاخلاق الى الضمير ، وأصبح العقل مسيطرا وموجها للانسان وبه أصبح يحقق كل يوم نجاحا ، هذا النجاح يعنى وجهتين من النظر متوازيتين تماما عند الانسان الاوروبى : فهو يرى أنه عندما استعمل عقله حقق نجاحا ، كان هذا النجاح يزيد من ثقته بالعقل ، ويزيد من اهتمامه به ، وفى نفس الوقت ، على هذا الخط المقابل ، يقلل ثقته بالدين ، وبرجال الكنيسة ، وأظهر أن الكنيسة ما هى الا فكر رجعى ، عندما سيطر عليه تخلف به ، وحينما أخذ بالعقل اصبح متقدما ٠

شواهد وثقت بين الانسان وبين عقله ، وبين كل المناهج الفكريةالانسانية التى طرحها ، ولا نستطيع نحن ان اردنا ان نشككه فيها ، نجد انفسنا مباينين للحقيقة ·

استطاع الانسان ان يثق بعقله ، ومنذ ان وثق به تقدم تقدمات ملموسة فى الفضاء ، وفى السماء ، وفى الماء ، نحن نقرر هذه الثقة ، لكن هل استطاع الانسان أن يعثر على سعادتهالكاملة ؟ وحين نطرح السؤال لا نطرحه لفرد : أى ليست مشكلة فردية انما السؤال انسانى بمعنى أنه ضرورى للشرقى ، والغربى على حد سواء ، لأننا عندما نطرحه يوافق عليه الاوربى ويتجاوب معه ، ويطرح عليه اجابة تختلف عن اجابة الشرقى ، ولا نستطيع ان ندعى : ان الاجابة واحدة ، رغم ان السؤال واحد ، اننا سوف نجد له اجابة من الشخصية الاوربية ، واجابة من الشخصية العربية وكل منهما يجيب على أنه غير سعيد سعادة كاملة مع علمنا أن جوانب السعادة تختلف من العربى الى الغربى ·

لم يبق امام الانسان الاوربى بعدما انتهت الثورة الاوروبية سوى سؤال هو : هل استطاع الانسان ان يقدم لنفسه سعادة كاملة ؟ وبالرغم من أنـــه سؤال واحد ، غير أن الاجابة عليه تختلف باختلاف الشخصية التكنولوجية أو الشخصية الغربية والشخصية غير التكنولوجية منها العربية على هذا السؤال·

علينا أن نتجه مباشرة الى تحليل الاجابة من خـلال منظور الشخصية التكنولوجية ، بمعنى أن الشخصية الأوربية ، أو الشخصية الغربية ، أو التكنولوجية ، حاولت : أن تقدم اجابتها على هذا السؤال ، حين حققت بعض مطالب النجاح ، وحين نريد أن نستعرض اجابتها ، نقول : لقد استطاعالانسان الأوربى ، ان يعالج جميع المشاكل التى قامت من أجلها الثورة الاوربية العلمية، وحقق كثيرا من الأهداف سواء على المستوى : السياسى ، أو المستوى الثقافى ، أو الاقتصادى ، وأصبح الانسان الاوربى له موقفه من هذه المشاكل ، فهناك ثالوث مقدس قديم ، يتحدى الانسان دائما ، هو : الفقر ، والجهل ، والمرض ، استطاعت الثورة الأوربية ان تقض عليه · اذا الانسان الأوربى استطاع ان

يقضى على مشكلة الجهل ، بما توسع من مؤسسات تربوية ، وتعليمية ، وأكاديميات علمية ، وأصبحت المشكلة اذا فى نظر الاوربى ، ليست هى تطور المجتمع من مجتمع جاهل ، الى مجتمع متعلم ، انما اصبحت المشكلة : تطور المجتمع ، من المجتمع المتعلم الى المجتمع المثقف ، فلم تعد المشكلة : مشكلة جهل ، وأمية ، وانما اصبحت مشكلة ثقافية ، تهم بالدرجة الأولى الشخصية الأوربية أو الغربية ٠

فأصبحت المشكلة الاوروبية ليست تقسيمات فى الجهل ، بمعنى انتقال من الجهل ، والامية ، الى العلم ، أو الى التعلم ، انما هى انتقال من التعلم الى الثقافة ، وهذه هى مرحلة يمكن أن نشاهدها بينهم فى اسقاط الوزارات ، فاستطاع الشعب الاوربى من خلال ثقافته ان يسقط نظاما قائما ، ويقيم مكانه نظاما آخر ، وهذا يدل على أن النسبة العظمى من الاوربيين نسبة ليست متعلمة فقط بل مثقفة ، استطاعت ان تفهم خطط البرامج ، السياسية ، والاقتصادية ، المطروحة من قبل المرشحين لرئاستها السياسية ٠

المشكلة الثانية : الفقر

قامت الثورة الاوربية متحدية الجهل وحققت نجاحا وقامت متحدية الفقر واستطاعت ان تحقق نجاحا ٠ وان تقف ضده ، أى بعد ما كان الانسان الاوربى: بحاجة الى ضروريات حياته ، من أكل ، وشرب ، وملبس ، حقق الأوربى نجاحه ، حتى أصبحت المشكلة لديه ، ليست مشكلة فقر ، بمعنى : الحاجة الى الضرورة ، بل أصبحت لديه : فقرا ، بمعنى عدم الاكتفاء بالجوانب الترفيهية ، وهى : فوق الضرورية ٠ الانسان الاوروبى : استطاع عموما من خلال ثورته ، ان يحقق نجاحا فى كل المشاكل التى عرضت له ، من حيث : الفقر والجهل والمرض ٠ كذلك هناك مشاكل ، حقق فيها نجاحا ، منها : مشاكل التنظيم السياسى ، التنظيم الاقتصادى ٠ اذا كان الانسان الاوربى ، قد قضى على المشاكل التى قامت الثورة الاوربية من أجلها ، وحقق نجاحه فى هذا الجانب ، وكان من الضرورى ان يكون سعيدا بذلك ، لولا أن رأيناه قد

وقع في أزمات ومشاكل من نوع غريب لم تبحث من قبل كيف ذلك ؟

بعد ما حقق الانسان الاوربي نجاحا : في مجال الاقتصاد ، ونجاحا في مجال العلم ، ونجاحا في مجال الحرية ، رافق هذا التقدم تقدما آخر ، في المجال الثقافي ، والفكري . واجه كثيرا من المذاهب الكثيرة ، التي أوقفته على القمة ، حتى بات عليها مضطربا ، متوجسا من أن يسقط الى هاويتها ، بفعل الدوار الذي انتاب رأســــه ، نقول : عادة الانســـان مهما كان مرفهـــا ومهما كان له الكثير من المظاهر الحضارية ، فانه في بعض حالات حياته يقع تحت وطأة حساب يتم بينه ، وبين نفسه ، ففي داخل كل واحد منا ، محكمة عدل مكشوفة ، لا ينفع فيها وسائط من القانون ، أو غيره ، يسأل نفسه من أنا؟ ولماذا المجتمع يهاجمني ؟ من خلال محاكمة صريحة لماض قد يبدوا لـــه منضوحا لا يتاح له فكاكا منه وعادة ، لا تتم مواجهة الذات الا بانفعال ، أي الانسان دائما معها منفصل ، أي حزينا ، أو فرحانا ، اذا ما كان حـــزينا ، يتجـــه : الى العـــزلة ، أو الى مجتمع حــــزين ، واذا كان منفعـــلا ، بالسرور ، يبحث عن مجتمـــع يبادلـه نفس المشاعـــر ، ومن بين المشاعر المتقابلة : ظهرت مشكلة الملل ، والقلق ، والغربة ، كيف جدت هذه المشاكل؟ وهي مشاكل جديدة من نوع غريب ، وهي الملل ، والقلق ، والتوتر ، والهدوء الحزين ، مشاكل لم تبحثها الفلسفة من قبل هل هي مشاكل نشأت مـــن رفاهية المجتمع الاوروبي ؟ أم من خواء المجتمع من القيم الروحية ؟ على أي حال انها مشاكل في مستوى المجتمع التي نشأت فيه .

ان الفكر الأوروبي ، حاول ان يقدم حلوله نحو هذه المشاكل ، وكـــان ايجابيا لأنه لم يهرب منها ، انما أقبل عليها بمناهج البحث الدقيقة حـين تبنى الفكر بحثها ، وأمامها انقسم الفكر الى قسمين :

١ ـ فكر يدعوا الى التيار الجمعي ، ليحل مشكلة الغربة ، فنادى : بالعقل الجمعي ، ونادى : بالاقتصاد الجمعي ، الاقتصاد الماركسي .

٢ ـ وفكر ينادي بالاتجاه الذاتي ، فظهرت الفلسفة الوجودية ، مؤكدة النزعة الفردية ، حين أرادت الفلسفة الجمعية ، أن تنظم علاقات المجتمع الاجتماعية ، لتحل أزمة الغربة التي يقاسيها الانسان ، على أساس انه حيوان اجتماعي ، يحب أن يأنس بحياته الاجتماعية بعد أن تنظم ، ظهر في الجانب الآخر فلسفات تنقض الاتجاه الجمعي ، وتقول : ان الاتجاه الجمعي ، يحاول ان يحد من نشاط الفرد ويسخره لخدمة المجتمع أو خدمة الجماعة ، ويلغي ذاته وشخصيته ، ظهر الاتجاه الذاتي الذي يؤكد على الذات الانسانية ،وعلى الفرد ، كفرد ، وتميز بطرح مقولات منطقية جديدة ، هي : مقولات الحرية ، والارادة ، والاستقلال ، وغير ذلك ، لتأكيد أن أساس الاخلاق هي الشعور بالذات والشعور بالتجاوب مع المجتمع ٠

نحن أمام فلسفتين :

١ ـ فلسفة جمعية ٠

٢ ـ فلسفة فردية ٠

فلسفة فردية ذاتية ، تحاول : ان تهاجم الفلسفة الجمعية ، وفلسفة جمعية ، تحاول : أن تهاجم الفلسفة الذاتية ، اذا المجتمع الأوربي ظهر فيه صراع من نوع جديد ، هو : صراع بين الفلسفات ، وصراع بين المذاهب ، في الوقت الذي كانت تريد فيه هذه المذاهب ، ان تقلل من شأن صراع الفرد مع نفسه ، من خلال الملل الذي ينتابه ، أو القلق الذي يؤدي به الى الانتحار ، بيد اننا نؤكد ، من خلال رؤية فكرية ، على أن هذه الفلسفات جميعا مهما تصارعت وتنابذت فانها ترى ان ثمة اطارا عاما اذا ما استوفاه الانسان اتجه به الى التوازن الحضاري ٠ ما هو هذا الشيء ؟ هل يعود الانسان الاوربي الى الكنيسة ومؤسستها ، وقد رفضها ؟ أو أنه يعود الى دين في شكل وضعي جديد ؟ على أي حال صمم على عدم العودة الى الكنيسة ، فاتجه الى طرح بدائل له مثل مفهوم الانسانية : بديلا لدين جديد ، وطرح مفهوم العقل الجمعي :

بديلا آخر ، وطرح مفاهيم كثيرة ، لكن هذه المفاهيم لم تلق رواجا بين الانسان الاوربى بل قد يشم منها ٠

النتيجة النهائية ونحن نستعرض محاولات الشخصية الأوربية ، وهى تقدم اجابتها على السؤال السابق ٠ وجدنا انها استطاعت ان تحقق تقدما فى المشاكل التى جدت أمامها منذ قيام الثورة الأوروبية ، غير أنها وقعت فى مشاكل من نوع جديد ، هى : الملل ، والقلق ، وأن كانت هذه المشاكل قد تبدوا لنا ظواهر لمرض يكمن فى ذات الشخصية الحضارية ويهدد مستقبل الانسان الحضارى ، ولا شك أنها فجوة تشكل خطرا على الانسان التكنولوجى نتيجة بعده عن الدين ، وتخفيفا للمشكلة وحدتها نراه انسحب الى ذاته واخذ يبحث عن الدين الذى يناسبه ٠

بعد ذلك نقدم هنا جانبا من جوانب الشخصية العربية ، ونقصد بكلمة العربية المفهوم الجغرافى : من المحيط الى الخليج ٠

هل استطاعت الشخصية العربيـــة من خـــلال وضعـــها فى الحضارة المعاصرة ان تحقق نجاحا فى مستقبلها ؟ يدفعنا هذا السؤال الفلسفى دفعا الى مواجهة ذاتية لأنفسنا تستدعى منا شجاعة فى غير تهور او تؤده من غير جبن ٠ نحلل معه مقومات هذه الشخصية علنا نصل الى خيوط مهمة عنها ، كما وصلنا الى نتائج فى الشخصية الأوربية لنستطيع أن نحدد موقفنا العربى من العالم التكنولوجى ٠

نقـــول من غير حرج ، وقبـــل أن نفقد حظا من شجاعتنا ، : أننا ما زلنا نقاسى المشاكل الداخلية التى اجتازتها أوربا ، أى : مازلنا نعانى وطأة الثالوث المقدس : الجهل ، والفقر ، والمرض ٠ ومشاكل أخرى داخلية أجتازتها أوربا وهى تعبر عصور التأخر الى عصور التقدم ، وحين نستعرض مفهوم الجهل عندنا نجد له مستويات بيننا ، فهناك جهل بمعنى : عدم معرفة القراءة ، والكتابة ، وهناك جهل المتعلمين الذين يقرأون ثم لا يصبرون على الفهم ، وهناك : الجهل المركب جهل المتبجحين ، وهو الذى يجهل أنه جاهل ،

أما الجهل البسيط ـ وهو جهل الحكماء ـ فمشكوك فى وجوده بيننا ، فالجهل لدينا تخلف فى التعلم ، وفى الثقافة ، وهو بمستوياته موجود بيننا ٠

ومن الطريف ـ فى عجب ـ أن نتكلم عن الفقر ووجوده بنسبة كبيرة فى بلادنا العربية فى الوقت الذى يقول فيه خبراء الاقتصاد عن مصير نصيب العرب من الدولارات المودع فى البنوك الغربية : اما أن ينتهى الى ودائــــع مجمدة لدى البنوك الغربية ، أو الى شراء سلع غير منتجة، وأن ما يحصل عليه العرب فى النهاية هو فوائد رءوس أموالهم بينما تبقى رءوس الاموال نفسها بعيدة من متناولهم ـ ومهما قيل عن ثروات العرب : فان الحقيقة ، هى أن هذه الثروة مجرد ثروة عددية الى حد كبير ، أى مجرد أرقام فى حسابات البنوك أى مالا مجمدا من غير توظيف أو توزيع ، انها قلة تتمتع به هنا أو هناك ٠

اذن الفقر يرجع الىجهلنا فى عدم استغلال ثرواتنا الطبيعية منجانب، ومن جانب آخر : عدم عدالة فى التوزيع ، وكراهيتنا للعمل وعزوفنا عن ثقافته وتدريباته المهنية ٠

لذلك ساء مثلنا مع أنفسنا ٠ ومع العالم التكنولوجى ، حين رأينــــا أنفسنا فيهمن غيرهوية حضارية تتحدث عنا٠٠اننا فى حضارتنا سلعةوموقفنا منها موقفالمستهلكلأننا نجد السيارة الامريكية أو الأوربية أو غيرها فىبلادنا، اذا التكنولوجيا التى نراها ونستمتع بها هى تكنولوجيا وافدة ، وليست هناك تكنولوجيا عربية سليمة الانتماء الى العرب ، واستطاع الغرب الاوربى: ان يحافظ على تكنولوجيته بأن يعطى كل سيارة طابع هويته وانتمائها اليه، هذه السيارة بالرغم انها وليدة تكنولوجيا فان الغربى اراد أن يجعل منها أهم عوامل نفوذه التى سيطر بها علينا ، فى الشرق العربى ، والتكنولوجيا التى توجد لدينا ، هى : تكنولوجيا غربية سليمة الانتماء الى الغرب ٠ أما العربى فانه لا ينتمى اطلاقا الى تكنولوجيا معاصرةتعبر عنتطلعاته الحضارية،

انما نستطيع أن نقول :بالرغم ان العربى ليست له انتماءات تكنولوجيةتعيد الى الأذهان ابداعه الحضارى فانه غير معزول عن تيار الحضارة يشارك فى التكنلوجيا مشاركة استهلاكية ، وليست مشاركة علمية متفاهمة ذاتصيغة فى الحوار . واذا كان العربى لا يستطيع لها صنعا ، فانه استطاع من خلال ثرائه المادى المودع فى البنوك ان يعيش مظاهرها الحضارية بجشع وشراهة مثل هذا اللون الحضارى الذى يعيشه هو لون استهلاكى غير منتج . نستطيع ان نقرر النتيجة الأولى وهى ان العربى ليست لديه انتماءات تكنولوجية ، انما لديه قدرة على استيراد التكنلوجيا ، فالشخصية الحضارية التكنلوجية يفتقدها الانسان العربى ، كما يفتقد عدم المشاركة الفعالة فى البنــــاء التكنلوجى ، وبالضرورة أصبح متخلفا عن المشاركة فى التيارات التكنلوجيا المعاصرة ، وعن المساهمة الفعالة فى بناء ذاته داخل الحضارة التكنولوجية أما الانسان العربى : فان وسائلنا التربوية استطاعت أن تمنحه الكــثير غير انهــا أخفقت حين لم تحقق معه نجاحا يذكر فى ربطه ببيئته ومتطلباتها فما زالت البطالة المقنعة بين صفوفنا أى صفوف ذوى الشهادات فهناك من يطلب بالشهادة لقبا وهناك قلب فى نسب الأمور بين حملة الشهادات — فضلا عن الذين لا يحملونها — حين يعين صاحب التخصص فيما لا تخصص له .

اذا كنا نقاسى التخلف التكنولوجى ومشاكله . فهل الشخصية العربية متقدمة فى جانبها الروحى ؟ يفتح السؤال بابا للموازنة بين الشخصيــة الأوربية ، المتقدمة فى تكنولوجيتها ، والمتخلفة فى جانبها الروحى ، وبين الشخصية العربية — وهى التى يقال عنها : أنها متقدمة فى جانبها الروحى، متخلفة عن التكنولوجيا المعاصرة . لا نود أن نقدم اجابة على هذا السؤال ، فيها جبر خاطر للشخصية العربية ، انما علينا ان نتجاوز أسلوب العاطفة الى الموضوعية فى الاجابة ، ووفق هذه الموضوعية ، نقول : كما أن الشخصية العربية متخلفة عن التيار التكنولوجى ، فانها متخلفة عن التيار الدينى ، والفكرى ، كيف ذلك ؟

استطعنا ان نحكم على الشخصية العربية : بالتخلف المادى ، من خلال مستورداتها ذات الانتماءات المتعددة • وليس بينها انتماءات عربية كذلك اذا بحثنا فى سلوكنا نجده متخلفا ، وان كنا نعلم ان الحكم على الفكر ، أو على السلوك : قضية صعبة ، الا أنه غير مستحيل الحكم عليه •

لكن صعوبته يقتضى منا بعض الحرص ، فى عدم التسرع فى الحكم ، لأنها قضية معقدة ، وسر تعقيد السلوك : ان دوافعه داخلية • كان خالد بن الوليد فى معركة من المعارك الحربية ، وتتبع رجلا فر من أمامه وجرى وراءه بسيفه ، حتى اذا ما لحق به رفع عليه سيفه حينئذ قال الرجل : لخالد ، لا اله الا الله محمد رسول الله ، ومع ذلك قتله خالد ، سمع الرسول(صلعم) بهذه الحادثة ، فحزن ، ولام خالد ، وقال له لم قتلته ؟ قال : يا رسول الله لقد قالها تخوفا ، فقال له الرسول (صلعم) هلا شققت عن قلبه • اذا قضية السلوك قضية معقدة واشارة الرسول تقضى بأنها معقدة ، ويتفق وعلماء تحليل الشخصية : على أن السلوك معقد ، ونحن اذ نؤكد على تعقيدالسلوك، وخاصة فى الشخصية العربية ، لأنه لم يكتب بعد عن انفعالاتها ، ولكن بالرغم من تعقيده فانه لا يبلغ درجة المستحيل ، ولا سيما عندما نطرح جوانب منها للتحليل ، فأول ما يظهر لنا فى الشخصية العربية من حيث التكوين السيكولوجى : الانفصام فى الشخصية ، أنها تفعل شيئا ولا تعتقد فيه ، وتعتقد فى شيء ولا تطبقه اذا الفكر فى جـــانب ، والتطبيقات فى جانب آخر • فأهم شيء فى الشخصية العربية : أنها مريضة بالازدواج فى شخصيتها أي أصبحنا بين ذاتين : ذات تعمل ، وذات تفكر ، اذا الشخصية العربية ككل من حيث التركيبات السيكلوجية منقسمة الى ذاتين : ذات تفكر بها وذات تعمل بها ، فالانسجام بين الفعل وبين الفكر غير موجود ، على المستوى العام للشخصية العربية هذا من حيث بعض الأمراض السيكلوجية التى تتميز بها فضلا عن الأمراض الحضارية •

بالرغم من أن السلوك فى جانب ، والفكر فى جانب آخر ، فان فى مرتكزات الفكر العربى فى بنائه المعاصر فيه التكوينات من الاسلام ،وتكوينات

من الفكر المادى ، وتيارات من الالحاد ، وبه انتماءات أيديولوجية بعضها الى الشرق ، وبعضها الى الغرب ، وبعض لا ينتمى الى شيء ، فرقت أنماط شتى الجسد العربى الواحد • فتأثر الانسان العربى وهو عضو فى المؤسسة العربية بهذه الموجات التى حملت تلك الألوان • كذلك ساد الوطن العربى ، أيديولوجية سياسية تجمع فى شكلها الظاهر لقاءات التوحد ، فى الخارج ، حين ينهشها صراعات الانفصام فى الداخل ، فنرى : تيار القومية العربية المتوحد فى شكله الظاهر يحمل فى طياته : ازدواجية من نظامين متناقضين : الديموقراطية الاقتصادية والاجتماعية ، ثانيهما الديموقراطية السياسية •

لا شك انه تردد ـ محير ـ وقعت فيـــه الذات العربية ، يستعصى على التوضيح العلمى فهمه ، وينعدم معه دلات الحوار بدءا من الصيغة العربية ، فبعض هذه الصيغ يسوده الحماس الثورى المتطرف ، والبعض الآخر عليــه طابع الجمود العصبى •

ينتهى بنا المطاف الى بعض نتائج وصلنا اليها فى الشخصية العربيـــة وهى أنها متخلفة كثيرا عن التيار التكنولوجى ، وعن ثقافتها من حيث الحضارة الاسلامية ، ومتراخية من حيث انتمائها الى تراثها التاريخى : الاسلام ، ثم أصابها داء التفسخ ، والتحلل ، وتفشى فيها نوبة عصبية موجهة الى قتل ذاتها : كل يقتل ذاته • هذه نتيجة ينبغى علينا رفعهـــا الى مصحة العـــلاج الحضارى ، اذا أردنا أن يتم بيننا وبين الحضارة لقاء دون محاور ؟

سيكولوجية الحوار الفكري بين الشرق والغرب

يوصف الانسان : بأنه صانع للحضارة ، معنى ذلك : أن الحضارة من مكتسباته ومن امكاناته البشرية ، وليست ارثا ممنوحا له ، ولا هبة من هبات التاريخ ، ولا يصنع الانسان الحضارة ويتقدم بها ، الا اذا خطا مرحلة الطفولة البشرية ، وتجاوز مرحلة الوصاية عليه ، الى مرحلة الاستقـــلال بمعناه الكامل : السياسى ، والثقافى ، وتحمل مسئولية تحرير الذات من الاندماج فى قيم غريبة عنه • يشهد على ذلك تاريخ الحضارة الانسانى حيث أن الحضارة تناوبتها الأمم على مدار التاريخ ـ أحصى (توينبى) المـــؤرخ الانجليزى ـ رجل فى السنوات الأخيرة فى مؤلفه دراسات فى التاريخ ، وفق معلوماته التاريخية عدد الحضارات التى تناوبتها الأمم : عشرين حضارة يشهد تعاقبها أنها باقية دائما ، بيد أنها تنتقل من أمة الى أمة ، وفق قانون يقوم فى أساسه على كيفية الحوار الفكرى مع هذه الحضارة •

ولا يغيب عنا : أن هذا الحوار هو من مناهج الاسلام فكريا ، نظريا ، وعمليا نظريا يظهر : حين عرض القرآن قضاياه العقدية الالهية ، كذلك عرض مقابلها قضايا العقائد غير الالهية ، وفى حوار بليغ اطاره الحسنى : فهما ، وقولا ، وفعلا ، بين أصول الدين الالهى ، وأصول الدين الوثنى ، فى غير حرب كلامية (باردة) ، أو حرب بسيف (ساخنة) ، ودون عناء فى الخصام ، أو تعنت فى الحوار ، وعمليا : عندما عد علماء الاسلام : أشياء وقيماليست

---

(١) محاضرة القيتها فى الموسم الثقافى الثامن لجامعة قطر يوم الاربعاء ٢٦/٥/١٤٠١ هـ الموافق ١/٣/١٩٨١

من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو قوله ، ولكن ما رضى عنها من سنته ، وذلك عندما عرفوا سنته / بأنها قوله ، أو فعله ، أو تقريره ، يكفى انه أقرها سواء أكانت من قومه ذوى الجاهلية أم غيرهم ، فلا وصفهم بالجاهلية نفره منها ، ولا بعد غيرهم عن عصبية قومه عزفه عنها ، أنما هى الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها صلى الله عليه وسلم •

لذلك تتجه هذه المحاضرة الى طرح قضية الحوار : بين العرب بعضهم ببعض أولا ، ثم بينهم وبين الغرب ثانيا ، ولا نقصد من الغرب ذلك المعنى الاستعمارى الذى أورثنا الشحناء والبغضاء وقاسينا من ويلاته الدمار ، انما نعنى منه ذلك المعنى الحضارى النزيه وهو حق للانسانية جمعاء ، ونعنى منه أيضا التعاون البناء على اثراء الحضارة البشرية ، من غير تبعية فى الانتماء اليه او الولاء له ، محتفظين فى الوقت ذاته بشخصيتنا وطابع تفردنا ، يقول بعض المفكرين المعاصرين ، أن ما اصطلح الباحثون على تسميته باسم(الغرب) انما ولد اصلا فى (ما بين النهرين) وفى (مصر) أى فى آسية (وافريقية) فالغرب كما يقال بالنسبة للحضارة عرض طارىء ويؤكد (بول فاليرى) على أن (اوربه) وليدة تقاليد ثلاثة :

● فى المجال الاخلاقى : المسيحية :

● فى مضمار الحقوق والسياسة الدولية : تاثير موصول للقانون الرومانى •

● فى حقل الفكر والفنون : التقليد الاغريقى :

ويضيف (جارودية) فيلسوف فرنسى معاصر ذو نزعة يسارية ـفيقول: أننا ندين للعلم العربى بأهم كلياتنا الطبية ، وفى مقدمتها كلية مونبليه ، وفى ختام ملاحظاته يقول : أن الغرب مدين بالنهضة الى حد كبير للفتح العربى الذى استطاع أن يخلق الظروف الفكرية الضرورية لتفتحه •

بعد هذا نقول : نحن لا نبتغى بالحوار وجهه نظر نتعصب لها أو دفاعا عن وضع يعزلنا عن مسئوليتنا الحضارية ، انما نبتغى منه يقظة للعقل

العربى ، ليحسن التفاهم العلمى مع الحضارة ، وننزه العقل العربى عن ان يكون به قصور يعوقه عن متابعة التفاهم فى رحلته الحضارية ، انما هـو تقصير من العرب بسبب التنوع والتباين فى الجسد العربى الواحد ففى بعض مناطق الوطن العربى يشتد الضغط الاقتصادى،ويتزايد بصورة لا تطاق طابع الحده ، والم المرارة فى المعارك الجانبية ، بين بعض العرب ، وفى جانب آخر منه : تبدو المظاهر الترفيهية التى جعلت كل واحد يأوى الى بيته ليجد فى داخله السعادة فى حياته الخاصة والعامة ، وصيده وقنصه واطلقـــوا العنان لرغباتهم ، واذ بروح الضعن والارتحال تقوى وتنتشر بحثا عن المتع لا عن المبادىء ، وفى كل مكان تلقى الانقسام والتفسخ : فى النزعـــات : وفى المؤسسات ، وفى الطبقات بل بين الأجيال حتى التاريخ وما فيه من انتصار أصبحت تبدو مشوهة ممسوخة ، انها ازمة اوضاع تبث المرارة فى النفوس ويثقل سيرها كل شىء وكل الناس ويؤجج آلمها ضرام الاهواء فى النزاعات مع اندفاعات التبجح ، فضلا عن تقاليد مرتكزة على شدة السلطان فى الحكم من جانب ، والطائفية والعصبية والعنف من جانب آخر ، يرى « جاك بيرك » المفكر : الفرنسى الاجتماعى المعاصر : انه تخلف يعزى الى تنحية هذا الوطن طويلا عن تراثه والى تجريده من خبراته ·

تلك حجب كثيفة حجبت العقل العربى عن الفهم الطبيعى لمسيرةالحضارة المعاصرة وأورثت الشخصية العربية عقدا نفسية ، تحكمت فى فكرها وسلوكها فأصبحت لا ترى فى الحوار : الا جوانب الحساسية التى لا لزوم لها ، أو حصره داخل قضية تجعل منها معركة مصير الأمة العربية ، وبلغت سيطـرة الحساسية والتوترات العصبية على شخصيتنا ، حدا ، أصبحنا معه نعـــد النوبة العصبية تفكيرا ، وتفشى تأثيرها الحاد على الشخصية العربية حتى أصابها بانفصام فانقسمت الى ذاتين : ذات تفكر بها ، وذات تعمل بها ، وما أبعد ما بين هاتين الذاتين · وسوف نتتبع تردى الحوار من خلال سيكلوجية الشخصية العربية لنرى معوقاته :

أولى تلك العوائق : ما يزعمه بعض المفكرين : من أن التمايز الذى بين الشرق والغرب يعنى : اقامة حدود عازلة بينهما • وتلك قضية مغلوطة فى عرف المفكرين حين يتعصبون لها فيجعلون من التمايز الفكرى بينهما مواقف لها حدود عازلة لا يودون معها لين قول ولا حوارا بينما هى فى مسارهـــا الفكرى يحكمها تفاعل الحوار ، ليؤلف توازنا سليما بين أبعاد الحياة الثقافية والروحية ، تفاعلا من شأنه أن يتيح خصوبة بين الثقافتين ومن غير فقر أو أفراط فى معايير المقارنة بين الثقافتين : الشرقية والغربية ، نعرض لقضيـــة المقابلة الفكرية بين الشرق والغرب وفق وصفهم لمعنى التمايز بينها ، فيقولون: بأن الأول أى الشرق من حيث اتجاهه الفكرى : يتميز بالقول (بالوحدة أى وحدة الوجود) والثانى أى الغرب الاغريقى من حيث اتجاهه الفكرى : يتميز بالقول بالثنائية • لذلك يوصف الشرق : بأنه مركزية دينية ، بمعنى أنه مهد الانبياء والوحى الالهى ، والغرب الاغريقى : يوصف بأنه مركزية عقلية ، بمعنى أنه مهد الفلاسفة والفلسفة والمنطق فالاتجاه العقلى يوصف به : الغرب والاتجاه اللاعقلى يوصف به : الشرق •

من هذه المقابلات الفكرية القديمة : يحاول بعض المفكرين : أن يخلع عليها ثوب القداسة ، حين يجعل هذه القسمة الذهنية من السمات المميزة بين الشرق والغرب ، وفى غمرة المصادمات مع الاستعمار زاد الهوة بينهما شعار يقول : بأن الشرق شرق ، والغرب غرب ، لا يلتقيان • يعيب هذا الموقف : التقصير ، كما ينقصه تفسير تاريخى ، يلقى الضوء على مظاهر هى أحيانا قد تبدو متنافرة • لذلك علينا ونحن نعرض تجاوب اللقاء الفكرى بيننا وبين الغرب ، أن نكون حذرين ، من التوقف عند عمليات المقابلة هذه ، بين المتضادات التى غذتها ، واستغلتها طويلا مناورات بارعة من قبل الغير ، ولو اكتفينا بالوقوف عند حدودها فى دراستنا للحوار الفكرى ، لخرج بنا التحليل الى : مواقف وافكار عليها انعكاسات سيكلوجية متناقصة ، فبعضها يظهر عليه : طابع التفاؤل ، بعضها يظهر وعليه : طابع التشاؤم ، الأمر الذى يجعلـــهم يهربون من عمليات المواجهة الحقيقية ، الا فى حالات تبسيط خادع ، لخطوط الموازنة فى بعضها ، وفى حالات آخرى : يغلب عليها الطابع الخـــطابى أو

البلاغى فى أكثره ، وكلاهما مبالغ فى تطاوله • بينما قضية التمايز بينهما فى وضعها الصحيح هى فى حقيقة الأمر مدعاة للتزاوج بين وجهين لعملة واحدة، مثال ذلك من خلال (مبدأ النقيضان لا يجتمعان) : أنه بينما يرى الاتجاه العقلى : وفق منطق الغرب الاغريقى أن النقيضان لا يجتمعان ، فاننا نرى الاتجاه اللاعقلى وفق منطق الشرق بأنه لا يعتبر هذا المبدأ أساسا فى فكره ولديه من الأمثلة ، والشواهد ما يقلل أهميته العقلية لديه ويرتب على تقليل أهميته أمورا فى مجال العلاقات والفكر ، منها : قضية اتصال المتناهى وهو (العالم) باللامتناهى وهو (اللــــه) ضرورى فى نظر الدين ، بينما يستحيل تصوره فى نظر الاتجاه العقلى ، الذى يأخذ بمبدأ : النقيضان لا يجتمعان : واتصال النبى بالله ليس فيه تناقض فى نظر الدين لكننا نرى من خــــلال (مبدأ النقيض) يمتنع الاتصال ، كذلك أمام المعجزات ينخرم هذا المبدأ ذاته• وهذه كلها مبادىء أساسية ، فى الفكر الشرقى ذو المركزية الدينية ، تناقض فى نفس الوقت الفكر الغربى الاغريقى غير أنها لا تفصل بينهما انما تكمله •

يتبين لنا : أن مبدأ عدم : اجتماع النقيضين ، ينتمى الى تصورات ذهنية فى عقل الاغريقى ، وقد وقع الاغريقى فى خطأ عندما اقتنع بأنه من المبادىء الفكرية العامة الكلية والتى لا خطأ فيها ، وأراد أن يحمل الفكر الانسانى على الاقتناع به وكاد أن يتم له ذلك لولا أن الشرق من خلال اتجاهه الفكرى والدينى ناهض هذا المبدأ بتراثه ، وقرر : أنه لا مكان له مع القول بوحدة الوجــــود لأن الله من خلال نظريتهم ، هو ملتقى المتقابلات ثم يصيب بسهامه النافذة القول بعمومية هذا المبدأ حين يرى أن مبدأ عدم اجتماع النقيضين اذا صلح فى المستوى المتناهى فانه غير صالح فى اللامتناهى ، لأن هذا المبدأ الذهنى الذى يبدو دقيقا عاق (أرسطو) نفسه عن الوصول الى الحقيقة فى مستواها الأعلى أى أنه لم يصل الى المعنى الحقيقى لتنزيه الله • وكانت النهاية : أنه لم يقدم تفسير الوجود بقدر ما جعل الوجود نفسه مؤيدا لمنطقه ، فاهتمامه بالبناء المنطقى شغله عن فهم الوجود وفهم حقيقته لذلك تخلفت فلسفته عن تقديم حل حقيقى لمشكلة وجود الله وعلاقته بالعالم وباتت فلسفته بمنطقها مسرحا لا وهام وثنيه يوصف بها الله •

على أى حال : أصبح التاريخ الفكرى نفسه بما فيه الشىء ومقابله : العقلى ، واللاعقلى ، يحمل تحديا لمبدأ عدم اجتماع النقيضين ، واذا تعمقنا فى هذه الثنائية لنجدها تنجلى عن وحدة ، ولا سيما بعد ما قال العلم : ان المادة: هى لا مادة ، ولا يخالجنا الشك بعد ذلك أن قلنا أن القضايا الفكرية التى حفل بها الشرق وتميز بها هى وجه ضرورى للحقيقة كما أن القضايا التى طرحها العقل الاغريقى وجهها الآخر فهما وجهان لعمله واحدة وليس كما يقال : أن الأول : اسطورة ، والثانى مكذوب · رغم ذلك ظلت القسمة الثنائية : بين الشرق والغرب شيئا مالوف ، يعتبرها بعضهم : قاعدة ارتكاز ملائمة للمقارنة بين مجتمعين ، فى السلوك ،ومظاهرة·هذه القسمة مهما تبدومبسطة، فهى فى حقيقة أمرها تستمد قيمها من مقولات متعاكسة ، بمعنى ، أن العربى عند مايزج بنفسه ، فى الحركة التاريخية ، ليقود معركة تكيفه الحضارى : مظهرا وسلوكا ، ثم يعجز عن دفع ذاته مع الحركة الحضارية ينقلب خاسئا وهو حسير ليقول : أنه سوف يكون نفسه بنفسه ، ثم يقف حائرا ، بين سؤالين هما : هل يبدأ عصره كما بدأ سلفنا من الاسلام ، وقادوا به قبل معركة حضارية كبرى شهدها التاريخ ؟

أو أنه يبدأ من مادية وصفها : بأنها مجردة من الحكمة ؟

ثم بعد أن وقف بين السؤالين متحيرا ما نراه انصرف عن الحوار الفكرى ليس بين السؤالين فقط بل أعرض عن عقد حوار بينه وبين المنهج الاسلامى ، متلهيا عن قضيته الحضارية ، باللجوء الى تأملات فكرية ، ذات مقولات لا روح فيها · هى : مقولات التمايز ، ليسقط عليها عجزه ، ورفضه لكل موجبات التكيف والتفاعل الحضارى ، انه اخفاق سافر ، ينم عن عجز اصاب العربى بنوبة عصبية ، طاش بها عقله فوقع بين اندفاعات طائشة ، ومثالية مكبوتة ـ انه الشرقى دائم التأمل فى ذاته ، لذلك علينا ـ من غير مغالطة ـ أن نبدأ بعقد حوار حقيقى بيننا ، وبين المبادىء الاسلامية ، التى تتحدث عن ضرورة التبادل الحضارى الخلاق ·

ثانيه العوائق للحوار الحضاري : الاختيارات التاريخية ، بمعنى : أن مثل هذه المقارنات ، التى نعقدها بين الشرق والغرب ، نسوقها ، لنحدد بها ملامح تراثنا ، وهذا لا ضير فيه ، ما دمنا نسوقه من قبيل الاعتزاز به ، لكننا لا نقف عند هذا الحد ، بل نحاول ابرازها فى شكل فوارق عازلة ، يبلـــغ تعصبنا لها حدا ، أن عزلنا انفسنا داخلها ، ووضعنا أمام اختيارات تاريخية اساسها : ـ كما قلنا ـ تعصبنا لبعد واحد من الحضارة ، حملنا على أن نقرر من خلاله اما الاختيار بين طابعنا الشرقي ، واما الطابع الغربى ، وكأن الأمر اذا تم وفق ذلك الاختيار ، فسوف نعثر ، من غير تعثر ، على الروح التى تبعث الشباب في قلب شاخ ، ليواجه ضرورات الحياة العصرية • قطعا لا نريد ذلك واذا اردناه ، فاننا لا نقدر عليه ، واذا قدرنا عليه ، فاننا نجزع جزعا شديدا من مثل هذا الاختيار ، لأننا لا نتبنى اصلاحا ينفسخ به العقد الذى بيننا وبين تاريخنا •

ولا نجانب الحقيقة أن قلنا : أن عدم مواجهة قضية الاختيار بين بعدى الحضارة : الشرقى ، والغربى ، مع رفض الحوار بينهما ، اوقعنا فى حرج لا مخرج لنا منه ، الا بشخصية مزدوجة : فى فكرها ، وسلوكها ، مثـــال ذلك :

يقدم علماء الفقه الاسلامي : رجلا ، ويؤخرون : اخرى ، وهم يواجهون قضايا الاقتصاد ، من حيث موقفها من الفقه الاسلامى : البنوك ، التأمين ، كيفية توظيف المال وهذا من ضرورات الحياة العصرية ، لأنهم يرون : أن الجرأة على ذلك فتح لباب يصعب غلقه بعد ذلك ، ويدخل منه ألوان مـــن المحظورات والمحرمات فى المجال الاخلاقى ، وفى نفس الوقت نرى أن جميع معاملاتنا جارية وفق هذه المصارف •

مثال آخر : نرى على مستوى الدولة ، عندما تقدم دولة على عمل : كالتأميم ، وهو نقل الملكية لحق الدولة ، وهذا من المشاكل الاقتصاديـة المعاصرة التى ليس لها فى مجال الفقه رأى واضح ، نرى علماء الفقه الاسلامى لم يعلقوا حكمهم انما تنهض ببعضهم هم ليتناولوها بالتحليل وفى النهاية

يخرجون كتبا وفتاوى تحمل (حيل الفقه الاسلامى) مع المشاكل المعاصرة ٠

وعلى نفس الخط نمدح النظام الاسلامى ونطبق نظما أخرى تهاجم الحضارة الغربية ونتسول تكنولوجيتها الاستهلاكية بل أقول : أن الغرب لا يتمتع بماديته مثلما يتمتع الشرق الروحى بمادية الغرب وحضارته ، وبهذا اصبحنا نعيش عالمين متناقضين : عالم الفكر المثالى ، من ناحية ، وعالم الواقع الحياتى من ناحية أخرى ، ولا يمكن القول بعد ذلك بأن العقيدة تعارض الاتجاه العصرى أو أن الاختيار ضرورى بين العقيدة الاسلامية وبين الحياة العصرية كى لا يثار أمام المسلمين مشاكل مستعصية الحل ٠

فالقول بالاختيار يلون نزعتنا المحافظة بمعنى الاستسلام للقضاء والقدر ويضع ايماننا وهو ما نفخر به على نقيض السلوك النشيط فضلا عن أنه يصم المسلم بالافراط فى الروحانية بينما نوقشت قضية البعد الحضارى الواحد فى الاسلام وكاد الامر أن يكون اتفاقا أو اجماعا على القول بالثنائية التعادلية بين المادة والروحية فى الاسلام ٠

ولو وقفنا عند حد منهج الاختيار التاريخى لشملتنا من جانب آخر رؤية تشاؤمية من المستقبل ومن الماضى وهو ما نعتز به يصبح من خلال منهج الاختيار عقبة فى سبيل معايشة الحاضر وتخلفنا الحضارى فى وضعنا الحاضر يعزوه اصحاب الدعوات المغلوطة الى رواسب الماضى الثقافية والسياسية والنفسية ومن حيث يزعمون يعتبرونه ماضيا مفضوح الخصائص لينادوا بالغائه ٠ كم قاسينا وعانينا من دعوة الاختيار بين بعدى الحضارة المادى أو الروحى ٠ فليس من الحكمة اذن أن نعتز بمبدأ الاختيار ما دام يحتم علينا الأخذ ببعد واحد للحضارة ويوقعنا فى حرج امام تاريخنا ويجعل حاضرنا متجها ضد ماضينا وماضينا متجها ضد حاضرنا ٠

انما علينا أن نتحمل تبعة طرح حوار واضح وعميق حول الهوية العربية ومنهجه الاسلامى ٠

وثالثة العوائق للحوار الحضاري : الانفصام فى الشخصية العربيـة ، عندما شوهت فلسفات الاختيار ، بين بعدى الحضارة : الروحى والمبـادىء الشخصية العربية أصابتها بالانفصام بما جلبته عليها من تشاؤم حرك فيها مشاعر الكراهية ، والبغض ، واكرهتها على عدم تقبل التفاوض مع الآخرين ، وجعلت عدم التناسب بينها وبين الحياة شاسعا وكانت كلما زادت الهوه بين العربى وعالمه الخارجى زادت فى عنفه الثورى نحو أمله فى الاصلاح ، وجوفت الهوة بين مظهره الحضارى وسلوكه المتخلف ازمة لا سبيل للخروج منها ، وبدى اعراضها فيما كنا نحسبه تطورا طبيعيا يتصل بشكل من اشكال النشوء والارتقاء لكن بعد أن انكشفت حقيقته وجدناه تطورا لا يتعلق بشكل من أشكال النشوء والارتقاء وانما هو من أشكال الانفصام فيه الكثير من مظاهر التدنى والتفسخ الذى به امتد الصراع الى قلب الحياة العربية حتى خفقات انفعالها انفصاما فرض عليها نظما فيها من التعقيد ، ما يتسع للفوضى والمناورات التى تتناوبها ريح العواصف من الداخل أو من الخارج عاقت بلا ريب حركات الاصلاح التى أرادت الاصلاح الاجتماعى فضلا عن أن هذه النظم وهى المتناقضة فى كل شيء فيها فرضت على انسان بيئتها ضرورة التكيف معها وليس هناك أشد تعقيدا أمام فلسفات التربية فى الشخصية العربية من تكيف مع وضع فيه تناقض وتنوعت هذه الأوضاع التى توزعت الجسد العربى الواحـــد تنوعات شتى فهناك :

- مجموعة تتبع التقاليد والعرف دون بحث فيها وفى علاقتها بالعقل والدين .
- ومجموعة تتبع ثقافات ذات نزعة قومية والنزعة القومية فيها الكثير من الابهام يستعصى معه تحديد مفهومها هل هى النزعة الوطنية ؟ أم تمجيد العرق أم الشعور القومى ؟
- ومجموعة تتبع الغرب كليـــة حين يريدون اختصـــار الطريق الى الحياة المعاصرة ؟

● وأولى الاصلاح ومعهم الروح العام يريدون تجديد البعث الاسلامى والعودة الى العصور الخوالى وهذا ما نحمل تبعته ونيمم شطرنا نحوه وفى سبيله تطرح منهج الحوار ٠

أدى توزعهم هذا الى تصرم الأواصر : الاسلامية والانسانية حتى القومية بينهم ولا تكاد تجد علاقة واحدة بين العرب اليوم تربطهم ببعضهم سوى علاقة مادية قائمة على النفع هى العلاقات المالية ٠

فاذا أردنا أن نغير الواقع نفسه فعلى أى منهاج نحمل التغيير عليه ؟ لذلك ينبغى علينا أن نبدأ حوارا من داخلنا نجمع به بين الذين يتعلقون بالماضى من حيث يرغبون فيسرفون حين يخلطون بين مرذول القبلية وممدوح الاخلاق الاسلامية وبين الذين يقبلون على الحياة العصرية فيرخون العنان لتيارات الالحاد ٠ وهما معا يضعون العقيدة الدينية مقابل الحياة العصرية فهذا يهرب من حاضره باسم الحفاظ على عقيدته وذاك يسحب ثقته من تراثه باسم حضارته ، موقفان يقومان على روح التنابز بينهما وأمام هذا الركام من النظم القائمة على الاختيار وعدم جدية الحوار يتحلل الكل ويهرب الى حياة المظاهر الحضارية وبذلك خيل اليهم انهم كبحوا الاهواء القومية وموضوع تنازعها وكأن الهروب تساوى لديهم بسياسة التوازن بيد أنه لا توازن ولا تكافؤ فيه انها سلبية لا جواب فيها على تحديات الحضارة من جانب ولا على تحدياتهم المحلية من جانب آخر ولعل ما أصاب البلاد العربية من جمود سياسى طويل انعكس حاله على مواقفنا ازاء قضايانا حتى خيل الينا أن فى سلبيتنا وهروبنا معنى الصفح الجميل ـ وكيف نعد سكوتا فيه التستر على تدبير مؤامرة قتل الذات العربية وتمزيقها صفحا جميلا ؟ وهل يمكن احتمال هذا التمزق الداخلى ؟ واذا لم يمكن احتماله ؟ فهل من الممكن أن نوازن بين التكيف مع الحضارة وتأكيد الذات العربية ؟ هل بوسعنا أن نقوم بذلك دون تآمر على قتل ذاتنا ؟ يلحظ الاستاذ محمد وهبى نوع القلب بين الغرب والشرق فيقول :(فالغرب يحتفظ بجشعه الواقعى وماكيافيليته للسياسة الخارجية بينما تتعلق السياسة الداخلية عنده بالمبادىء الرفيعة ٠ أما الدول العربية

فالأمر على العكس تمـــاما فالحيلة والأطماع تعبث فى الداخـل بينما تعلن فى الخارج مثالية سمحاء ، ولكنها مخدوعة اغلب الأحيان) •

ورابعة العوائق للحوار الحضارى : الاسقاط على الاستعمار والرجعية : اذا قامت الثورة اصلاحية تريد أن تبدأ اصلاحها وقبل أن تعرض برنامجها الاصلاحى يقوم اتجاه مضاد وقبل أن يتعاون معها فى دراساته الاصلاحية يتجه مباشرة الى قذف الثورة الاصلاحية اما بممالأتها للاستعمار وبرنامجها موصول الولاء بالفكر الغربى واما بالرجعية والجمود وفى هذه الحالة يكون الفكـــر الغربى سبة غير مغفور اثمها ـــ ولا يعنى فى دفع هذا الاتجاه المضاد بيـــان اندفاعه وانه لا يتعمق الأمور لأن موقفه من برامج الاصلاح ليس موقفا فقهيا حتى يسلك معه مسلك النقد والتقييم انما موقفه تحول من المناقشة العلمية المحررة الى تحريك العداوة والبغضاء فى النفوس بالتركيز على أن تلك الفئة ضالعة مع الاستعمار وتربت فى مدارسه فالانسان المفكر عندما أراد أن يوثق صلته بالواقع واصلاحه وتلك بداية الطريق الى صحة تفكيرنا وارتباطنا بالعالم الخارجى وفيه برءا من الانفصال وعودة الى ثوب العافية ، راحب الجـــهة المضادة لتقذف بباطلها على ومضات الاصلاح لتدمغها وكان باطلا كل الباطل عندما وصفت المشايعة للفكر الانسانى بأنه تقليد غربى ـــ لكن متى كان اللقاء الفكرى سبه ؟

لا أبتغى من طرح السؤال مشايعة الدعوة الى تقليد أوربا قطعا نحن لا نتبنى ذلك انما نتبنى الدعوة الى الحوار الفكرى للحضارة ، وفى الحوار تفتح للعقل وشعور بأصالة الشخصية ، وتفاعل مع الثقافات وليس من معانيـــه التقليد • من منطلق ذلك أحب أن أسائل الاصوات النافرة من الدعوات الاصلاحية بزعمها عليهم نسبتها للولاء الغربى وانا معهم ان استندوا الى حجة أسائل لماذا لا ينفرون من تبعية العرب الاستراتيجية للغرب ويعلنون ولاءهم المخلص لأهم مشكلتين فى الوطن العربى هما : تحرير الانسان وبنائه •

« وليست التبعية بخافية علينا فان فى علاقات العرب بالغرب تكمن فيها التبعية الاستراتيجية مثلما كانت فى الماضى تكمن فى التبعية الاستعماريـــة

حيث مازلنا نقع تحت وطأة المفروضات علينا من الغرب وفى نفس الوقت نتلقاها اراديا بالقبول ماديا : بالتصنيع ، وسياسيا : بالانخراط فى فلك التبعية وفى نفس الوقت نقوم أيضا بالنضال سياسيا من أجل الاستقلال واجتماعيا بالتقليد لاوربا » ٠

وخامسة العوائق للحوار الفكرى : عدم وضوح مفاهيم الاصلاح :يحرص المنهج الاصلاحى فى الشرق عادة على أن يؤكد معنى المصالحة بين القديم والحديث والثورة فى معناها التجديدى تتضمن معنى الاعادة للماضى مع رفض أن يكون معناها التغيير الجذرى للاوضاع كما حصل فى أوربا أو روسيا البلشفية ، لأن الماضى لدينا دائم الحياة والحضوز يشع نورا وعرفانا لذلك ينزع العربى فى ثورته الى بعث التناسق بين ماضيه وواقعه كى يعيد التوازن بينهما ويتفادى التصادم بين الماضى والتفكير فى الحاضر ٠

مثل هذا المنهج الاصلاحى الذى تتغياه الربط بين ماضينا وحاضرنا يفتقر الى وضوح مفاهيمه مثال ذلك :

اذا قلنا ثورة تجديد ؟ فماذا نعنى من ثورة تجديد : هل هو تجديد بمعنى الفهم الجديد للاسلام من خلال معايشه المسلم لحياته ؟ أو هو مصالحة بين القديم والحديث ؟ وهل المصالحة تعنى التنسيق أو الترميم ؟

هذه مفاهيم مطروحة وحولها نقاش جدلى كله يدور حول تشقيقات لفظية غير مريحة ٠ وتعدى الخلاف حولها طوره الى حد الصراع بين أهل القديم وأهل الحديث وهما معا ينعمان ظاهرا بالحضارة ومتعها المادية فى شكلها الاستهلاكى لا العلمى ، واذا كان الأمر كذلك فلم يسخط بعضهم على بعض حين يريدون حوارا حول مفهوم القديم والحديث أو حين يريدون توضيح مفهوم التجديد أن أمر الخلاف بينهم لا يعدو أن يكون اختلافا ثقافيا شكل فجوة بين لقاء مفاهيم مناهجهم الاصلاحية ، فأهل القديم يجيدون لغته ٠ وحين يتكلمون عنه يتحدثون بلغة المدافع عنه وأهل الحديث يجيدون لغة المعاصرة ومنهجها وحين يتكلمون عنه يتحدثون بلغة المنتصر المدل بنفسه٠

ومن حيث يعلمون أو لا يعلمون تحتويهم الايقاعات التى قد يـــدرون مصدرها والتى لا يدرون عنها شيئا ٠

انها هوة ثقافية تفصل بينهم فهذا يفهم معنى القديم ويحرص عليـــه وذاك يفهم معنى الحديث ويسرف فيه وهذا وذاك كلاهما مزور عن الاخر من غير استغناء وماذا عليهم لو قام حوار فكرى بينهما خيرا من احترام يصانع فى ظاهره السلام ويبطن الصراع والكيد ويشكل عراقيل متجددة تحول دون التفاهم حول قضايا يجب مناقشتها والكشف عن مفاهيمها وهـــذا لا يتم الوصول اليه الا من خلال حوار : يفتح أعينا اعشاها التشتت ، ويصالح قلوبا اوجعها الحقد ، والتنابز وعقولا اصابها الصداع من هتافات يسقط ويحيا ٠ ويجلى الرأى العام الاسلامى بعد انفعال بالشعارات المضللة ٠

أنه الاسلام الذى نرتكز عليه فى دعوتنا رسم نهج معنى الحوار حـين قال تعالى « تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل ، وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى ٠٠٠٠ » ٠

تشير هذه الآية : الى معنى تحول الأشياء من الضد الى الضد معالمحافظة على معنى الثبات فى التغير ، والتغير فى الثبات ، وأهم ما نبحث عنه حين نطرح دعوة الحوار الفكرى هو أن تعود بالحضارة الى معقل الأمان والأمـن ونقيم قواعد الثبات فيها بقيم الاسلام الابدية ونؤكد على المعنى العلمى لنرعى به شئون التغير فى حياتنا بذلك نحول بينها وبين مشارفه الهاوية على متن ماردها الجبار ثم أخيرا انها دعوة نسوقها الى عقول نام رعيانهـــا فى المرعى يقول الامام الغزالى :

« ان الحمار اذا أكل كثيرا اشتغل كثيرا وان الانسان اذا أكل كثيرا نام كثيرا ٠٠٠ » ياليتنا نسله : كيف عادل بين آكله وشغله ؟ فان لم يجيبناحوارا، أجابنا حاله اعتبارا ٠

هذا وبالله التوفيق ٠٠

دكتور/محمد ابراهيم الفيومى

حوار حول الحوار (١)

مع الدكتور محمد ابراهيم الفيومى

يجريه الاستاذ المذيع صلاح خليفه

---

(١) حوار أجراه معنا : الاستاذ صلاح خليفة باذاعة قطر واذيع فى برنامج ندوة الاسبوع موضوعه : حول « سيكلوجية الحوار الفكرى بين الشرق والغرب » ٠

● نرجو من الدكتور الفيومي ان يلقى الضوء على المحاضرة التى القيتها بالجامعة منذ أيام وهى بعنوان (سيكلوجية الحوار الفكرى بين الشرقوالغرب) ونبدأ بالسؤال عن ماهية الحوار ؟ وما هو المقصود من هذه الأفكار ؟

د . الفيومي :

أقول : ان الحوار هو أسلوب ضرورى للانسان ، بل نجد ، كل انسان ، مهما كان مثقفا أو غير مثقف ، حياته قائمة على الحوار ، فهو فى ابسط حالاته يوجد فى صلح الزوجة على زوجها ، وأيضا اللقاءات التى يلتقى بها المسلم مع خطبة يوم الجمعة هى حوار ، وأيضا سماع الانسان الى الراديو أو التلفزيون فهذا ايضا حوار ، ومجرد وجود قلم للترجمةهذا حوار ،فاذا اشكال الحوار موجودة فى حياة الانسان بصورها المختلفة ، غير ان الحوار يختلف من مستوى الى آخر من مستوى الفرد الى مستوى الجماعة الى مستوىالدولة، ولكل اسلوب للحوار اهتماماته ومشاكله ، واما القضية المطروحة فهى :الحوار على المستوى الفكرى الحضارى ونعنى بذلك : ان على العرب : ان يهتموا بأسلوب الحوار فيما بينهم ، ثم بينهم وبين العالم التكنولوجى ، ثانيا : يستطيع العربى بعد توحيد صورته : ان يقدم شخصيته وتراثه الى هذا العقل الانسانى التكنولوجى ، ويستطيع بالتالى ان يجبر ، الانسان التكنولوجى

على احترامه ، فيقدم نفسه عن طريق التبادل الفكرى ، واذا كنا نستورد المواد الغذائية مثلا فانه اولى لنا ان نتحاور فكريا لنقوم بعبء مسؤليتنا : مسئولية الحضارة الملقاة علينا •

سؤال : قبل ان نبحث فى قضية الحوار بين الشرق والغرب ، ياترى ماذا يقصد هنا من شرق وغرب؟ وهل ذلك بمفهوم المطلق ؟

د ٠الفيومى : لا نستطيع ان نعتبر الشرق بمفهومه المطلق ، ولا الغرب بمفهومه المطلق ، بعد ما تغير شكل العـــالم ، العالم اصبح الآن له شكل جديد فى تقسيمه فهو الآن يقسم الى : العالم التكنولوجى ، والعالم غـــير التكنولوجى ، وعلماء الاقتصاد يقولون : عالم متقدم ، وعالم نامى ، وعالـم متخلف ، وللسياسين كذلك : تقسيمات ، وللجغرافيين تقسيمات وحينما ندخل فى مفاضلة بين التقسيمات السابقة : نرى أن من أوضح الأقسام ـرغم أننـــا سنطلق الشرق على دائرة وهى دائرة العـــرب ـ تقسيم الجغرافيين لأن العرب بكيانهم داخل الكيان الشرقى هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن خصائص الشرق العام داخل فيها العرب وهى السمة الروحية •

سؤال : وماذا يقصد بالغرب هل الدول التكنولوجية فقط ؟

د • الفيومى : نرى أن الغرب دولة ذات اطار تكنولوجى واصبحت هذه التسمية ليست دقيقة بل هناك قارة بأكملها مثلأمريكا يتميز أغلبها بالاتجاه التكنولوجى ، لكن هذه المحاضرة هى عبارة عن القاء اضواء لاحظنا فيها أبسط العناوين وأشيعها على أساس ان الحضارة المعاصرة من حيث الصفة العامـة هى حضارة غربية •

سؤال : هل هناك ضرورة حالية للحوار بين الشرق والغرب ؟

د • الفيومى : نعم هناك ضرورة ملحة ، وكما قلت : ان الحوار شىء ضرورى فى حياة الانسان ، لكننا نطالب بالحوار المتعقل الفاهم الموجه لغاياته

الذى له صيغ محددة • ولكن فى هذه الاونة التى نحن فيها اشد ما نكــون حاجة اليه فى الحياة العربية ، فللعربى تراثه الخالد هو تراث الاسلام ، ونحن نعلم : ان الاسلام هو تراث الهى ارسله الله ليقود به الانسان • وفعـــلا استطاع الانسان العربى ، ذات يوم ، أن يحمله ويجوب به آفاق الأرض شرقا وغربا ونرى دائما المؤرخين يتكلمون عن الفتح العربى ويفضلون كلمة فتح على غيرها ، كما نقف جميعا ضد الذين يتكلمون عن السيف العربى ، فاذا كنا نكره ان العربى حمل السيف ذات يوم ليضعه على رقاب العباد نكره ذلك ، ونفضل أن يقال عنه : فتح عربى فاذا كان الأمر كذلك فمعناه أن الفتح العربى قام على مبدأ الحوار ومنهجه القائم على مبدأ هدى الله حين قال : وادع الى سبيل ربك : بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وجاد لهم بالتى هى أحسن ، فاذا الفتح العربى ـ من خلال النظرة التاريخية ، والعمق التاريخى ـ قـــامت أساساته : على أساس الحوار الحر ، الذى استطاع به العربى ان يؤسس امبراطوريته العربية ، ومظهرها السياسى : الخلافـــة العربية الاسلاميـــة ، اذا كان هذا تاريخنا ، فطرح قضية الحوار هى عمق اسلامى ، قبل ان تكون مؤثرات عابرة ، ولا نسترسل فى الشواهـــد الكثيرة ويكفينا شاهدا قول الرسول (صلعم) : « انما الحكمة ضالة المؤمنون انا وجدها اخذها » فالحوار اذن هو عمق اسلامى وصورة حية فى تاريخنا فحين نطرح قضية الحوار ونبرز حاجتنا اليه اليوم وأننا أشد ما نكون حاجة اليه مما كنا عليه من قبل، نظرا للتوزع الذى يشمل الأمة العربية وكثرة الصراعات التى اضعفت أمرنا بين كتلتى الشرق ، والغرب ، أو بين العـــالم التكنولوجى المتصارع حولنا ليحتوينا • فلو أخذنا منهج الحوار فى شئوننا لنهدأ كثيرا من روعنا فيما بيننا وتوفق بيننا وبين انفسنا فنخرج بصيغة واحدة الاسلام نترابط بها بيننا وبين العالم الخارجى ونتبادل بها افرازات العقول ، بذلك نفتح بذلك أبوابنا على مصراعيها لابراز الشخصية العربية فى عالم الفكر ، والتبادل الحضارى ، بعدما كنا أمام العالم التكنولوجى امة متخلفة •

س ـ بالنسبة للحوار : هـل هناك مقومات أو أسلحة معينة لبدء هذا الحوار وللدخول فيه نحن كشرقيين ؟

د · الفيومي : لكل شيء وسيلتهأماالحوار فهو وسيلة ونتيجة ، فالحوار الذى نؤكد عليه هو وسيلتنا لأحياء نهضتنا الثقافية والفكرية التى ترتكز على الحضـــارة والرقى كلما كانت لغة الحوار أكثر فعالية فى حياتنا العقلية ، ودرأنا به عنا مالحق بنا من عدم التركيز فى كل شيء حتى باتت هذه الأوصاف ثابتة لدى الذين يريدون ضرب العربى ، وعلى العربى مسئولية اظهار ذاته ، كيف السبيل ؟ السبيل هو الحوار وليس السبيل بالخطب والمدح والثناء على الشخصية العربية وانما بالحوار ·

س ـ هل عليه أن يبنى نفسه أولا ؟

د · الفيومي : عليه ان يبنى نفسه ، ثم عليه أن يبدأ حوارا بينه وبين العالم الخارجى لتظهر شخصيته على حقيقتها أمام نفسه وغيره دون مزايدات تقتحم عليه داره من الخصوم فاذا ما بدأ العربى بفهـم ذاته وفهم شخصيته العربية وتراثه وتم له ذلك فسوف يقضى على هذا الأوشاب التى لحقت به خلال فترة الركود والجمود والتى جثمت على تاريخه · فالحوار وسيلةناجحة، تتوحد به الشخصية العربية وترتبط بتراثها وادبها ولغتها ودينها ·

س : دعوت الى الحوار الداخلى أولا ـ لـماذا ؟

ج : نعم ان لم يبدأ حوارا داخليا بيننا بدءا من الانسان وذاته فسوف نتحول بالحوار الى تنابذ أو حوارا كأنه (حوار الطرش) فعندما تسأل الأطرش: ما اسمك ؟ يقول لك : اكلت اليوم كذا ، واذا سألته : متى سافرت ؟ يقول لك : نمت اليوم ساعة · فهو لا يسمع ثم لا يعى ، فاذا الحوار لا يمكن أن يبدأ الا اذا تم وعى كامل وقادر على تبادل الفكر ، وارتبطت به الأمة العربية برباط واحد متآخيه لكى تستطيع ان ترسم له وبه منهجا واحدا ، تلتقى به

على الطريق المتوحد ، فمثلا أوربا : لها حضارة ، وروسيا : لها حضـــارة ، وأمريكا : لها حضارة ، ومع ذلك هناك دائما وأبدا التقاء فى الحوار بينهم ، وبين بعض ، فكذلك لا يمكن أن يقوم العربى بحواره الا اذا توحد بفكره وراء هدفه وقويت ارادته ٠

س : هل الحوار بين الشرق والغرب قائم حاليا أم انه فى سبيله الى الوجود ؟

د ٠ الفيومى : الحوار ، دائما ، قائم بين الشرق ، والغـــرب ٠ ممثل فى تبادل الفكر والتكنولوجيا ولكن الحوار الذى نقصده هو حوار العلاقات فالدول الغربية ، تحتاج الى العرب ، والعرب يحتاجون الى الغرب ، غير ان الغرب فى ذاته يملى بتعليماته المباشرة ، وغير المباشرة : على العرب ٠ كما نرجو فى دعوتنا هذه ان ينتبه العرب الى ذلك وان تكون العلاقات قائمة ــ كما قلت ــ على مبدأ السيادة العربية والشخصية العربية ٠ ففلسفة الحوار ضرورة لبناء حياتنا الحضارية ولأجل الا تكون كما يقال : ان البلاد العربيـــة بالنسبة للغرب قطع غيار للبترول ٠

س : اذن ما الذى يمنعنا الآن من قيام هذا الحوار واستمراره ؟

د ٠ الفيومى : ان واقع الوطن العربى : به مجموعات لها عدة ولاءات معينة بمعنى أن مجموعة تربط اتباع الغرب ، ومجموعات تريد ان تبعث النظام الاسلامى ــ وهذا ماندعو اليه ــ ومجموعات أخرى : تتبع النظام الماركسى : وهذه كلها يصمات فيها معنى السيادة على فكرنا وعقلنـــا ، فمن العسير أن يوجد بيننا صورة متكاملة عن الحوار ، فكيف يكون هناك صورة واحدة لا هواء متعددة الانتماءات ٠

س : هل من الممكن أن تبين لنا بعض هذه العوائق ؟

د ٠ الفيومى : العوائق كثيرة ويمكن تعداد بعضها بشىء من التفسير :

بعض العلماء يدعون : ان هناك تباين بين الشرق والغرب ، بمعنى : ان الشرق له سمات فكرية معينة ، والغرب له سمات أخرى مميزة ، وهناك كثير من المفكرين القدامى والمعاصرين يؤيد ذلك بأن الشرق له مميزاته ، والغرب له مميزاته ، فالشرق مثلا يتميز بوجود الأنبياء ، والكتب المقدسة ، والرسالات ، ومهبط الوحي ، وهو كما يقال عنه مركزية دينية ، أى ان الأديان كلها كانت في الشرق ، أما الغرب فيوجد لديه مركزية عقلية ، نهج الفلسفة ، ونهج الأبحاث العقلية ، هذا الأمر لا شك فيه ولكن الذى فيه شك هو ان نجعل الشرق : شرق ، والغرب : غرب ، أو كما كنا نهتف فى فترة وجود الاستعمار بيننا ــ علك تذكر ــ الشرق : شرق ، والغرب : غرب ولا يلتقيان ، بينما هما فى الواقع يلتقيان ، حين تأثر الغرب بالشرق ونذكر من عمق التاريخ أن هناك لقاءات فكرية تمت بينهم فمثلا : الغرب ، نحن نقول : انه ليس لديه نهج للانبياء ، فكيف نرى : الغرب ، الآن ، يدين بالمسيحية ، كيف جاءت ؟ نقول أن المسيحية هى دين شرقى أخذها الغرب من الشرق عن طريق الرومان، فمن اثار الشرق الواضحة على الغرب ترينه بالمسيحية ، فهذا لقاء تاريخى كذلك جرى بينهما حوار كثير فى ظل الاسلام وذلك عندما انتقل الى أسبانيا، استطاع العرب بالفتح الاسلامى ان يدخلوا به الى أسبانيا وهناك كذلك لقاءات أخرى امتدت عندما وقعت اسبانيا فى ردتها التاريخية وانحلت بها عن نظام الخلافة الاسلامى امتدت جسور ثقافية عبر أوروبا فانتقلت بها الحضارة الاسلامية والثقافة الاسلامية بطريق مباشر أو غير مباشر الى أوروبا فاذا هناك دائما لقاءات بين الشرق والغرب .

فاذا قام حوار فى العصر الحديث بينهما فليس فيه دعوة الى الانخراط فى سلك التبعية لأوربا بالمفهوم الخاطىء السائد بيننا .

ينبغى لمن يرد عليه هذا الخاطر أن يتحكم فى نفسه ليدفعه لأنه لم يكن التبادل الفكرى ذات يوم محسوب على ضياع الشخصية حتى نجعل هذا الخاطر محذورا من المحاذير التى نحدث لها ضبطا فى نفوسنا : فالثقافة ضرورة من ضرورات الحياة الحرة بالنسبة للعربى ذو التاريخ والحضارة .. نقول

أن العربى عنده الاسلام وعنده نشر الاسلام وتطبيق الاسلام وعليه فى نفس الوقت أن يكون آهل لهذه الأمانة وتلك الرسالة ولا يستطيع ان يكون فاهما للاسلام الا من خلال عمق فكرى للثقافة والتاريخ فالعربى صاحب رسالة عليه ان يعيها جيدا فاذا أخذ من الغرب يأخذ ما يتفق مع احتياجاته المطلوبة التى يقتضيهـــا عصره وحينئذ لا يكون الاتصال بالثقافة والتكنولوجية تلـــوث فكـرى ·

س : نريد أن نستفسر : هل معنا هذا أننا ننسلخ من الاسلام وعـن تقاليدنا الاسلامية في حوارنا مع الغرب ؟

جـ : الاسلام دين ، والدين لا يجزء ، ولا يبعض ، فالدين هو الدين ، والدين فطرة فى نفس كل انسان ، فهل يمكن أن ندخل فى حوار بالـــغ الأهمية مع الغرب من غير هديه لنا ، وهويتنا ، هى الاسلام والعقل فبهـــما نستطيع أن نرتبط بحوار فكرى بالغ الاهمية نعقل به اتجاه الغرب الحضارى والاتجاه الاسلامى تاريخنا لأن الاسلام لا يقرر العزلة ، ولا يقرها ، يشهـــد تاريخه أنه انفتحت ابوابه على جميع الثقافات : العقلية ، والأدبية ، واستطاع أن يفرد بجناحه ليشمل جميع ثقافات الأمم المفتوحة عليه ومن استطاع أن يتولى قيادة الاسلام ، فى عصوره الأولى رعى العلم العلماء بل ان دار الحكمة فى بغداد كانت دارا بالغة الأهمية فى تاريخ الفكر والثقافة ·

س : يجب علينا أن نفهم العالم الغربى تاريخنا ومبادئنا واسلامنا قبل أن ندخل معهم فى حوار وأثناء الحوار أيضا ·

جـ : الحوار دائما : أخذ وعطاء انه تفاهم وبلغة علم الاقتصاد: انه تبادل أى كما نتبادل السلع تتبادل الأفكار ، لذلك كان الحوار ضرورى ليفقهـوا اسلامنا ولا ندعهم يشوهون تاريخنا ويتحول موقفنا الى موقف سد الجبهات ·

متابعة علمية

بقلم : حسان عطـوان

سيكولوجية الحوار بين الشرق والغرب

نحو رؤية عربية إسلامية (١)

لـدى

الدكتور : محمد ابراهيم الفيومي

لعل الأكبر وصمة لتاريخ أوربا ــ قبل انجاز نهضتها ــ انها تخبطت طويلا فى ما اصطلح على تسميته بالقرون الوسطى .. بكل ما حملت تلـــك القرون المظلمة لأوربا فى تاريخها .. فكرى واقتصادى .. وسياسى ..

غير ان كل تخلف اجتماعى وفكرى ، لأوربا ما لبث أن غادرها مع تلك القرون المظلمة .. بعد انجازها لأكثر من خطوة جذرية .. وضعتها عـــلى المسارات الصحية وآكاد أتبين سببين أساسيين .. لتلك النقلة الحضارية . النوعية .. :

(١) النقلة الصناعية .. ودخول المكننة حياة الانسان .

(٢) اتخاذ العقل سبيلا ومنطلقا لأحداث « نهـــــوض فكرى وثقافى » شاملين .

ولعل التلاقح الحضارى الذى تم بين ايطاليا وفرنسا هو الذى أرهص لأحداث النقلة النوعية الحضارية فى بريطانيا وتلتها نهضة المانيا ..

---

(١) نشر فى : العرب : جريدة يومية تصدر فى دولة قطر . يوم الاثنين ٢ جمادى الثانية ١٤٠١ ــ الموافق ١٩٨١/٤/٦

وهكذا نجد أن أقطار العالم غير منفصلة عن بعضها ولا منقطعة عما يجاورها ·· كل يؤثر ويتأثر بالآخر ·· مصداقا لقوله تعالى :

« وخلقناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم » ·

وأترك أوربا جانبا ·· لاطرح جملة تساؤلات ·· منبثقة من واقعنا العربى الاسلامى ·

فأقول : اترانا غادرنا نحن الأمة العربية الاسلامية القرون الوسطى ؟! ولماذا ؟

هل السبب فى تخلفنا الحضارى المعاصر ·· هو واقع القطيعة والطلاق بين حاضرنا وماضينا ·

وهذا الظلام الذى يخيم ثقيل الوطأة على واقعنا الآن ·· أتراه نتيجة « الأمية » المتفشية بكل أنواعها ·· القرانية ·· و « الكتابية » و « العلمية » ·

وكيف السبيل الى الخروج من « القواقع » غلفنا بها أنفسنا طويلا منسحبين عن الآخرين وما حولنا من المحيط ··

أتراه نزوعنا التاريخى الى العزلة والوحدة والفردية·· بتأثير منالصحراء التى لبثنا بها طويلا ·· عبر قرون ؟ ·

وأسئلة كثيرة تلح ضاغطة ونحن بصدد مناقشة علمية · وحرة «لأفكار الأستاذ الدكتور محمد ابراهيم الفيومى » المطروحة فى بحثة الهام سيكولوجية الحوار الفكرى بين الشرق والغرب ·

نحو رؤية عربية اسلامية
للنهوض بالحضارى

(١) المنطلقات :

ويؤسس الدكتور الفيومى « لرؤيته» بجملة مرتكزات أولية يحددها على النحو التالى :

أولا : الانسان هو صانع الحضارة بامكاناته وطاقاته البشرية ··

·· ولقد أحصى (توينبى) عشرين حضـارة تعاقبت على بناء صروحها الأمم عبر التاريخ ، ولقد انتقلت أمانة البناء الحضارى من أمة الى أخرى وفق قانون (الحوار الفكرى) ·

ثانيا : لقد أصل الاسلام فى منهجه الفكرى ·· مبدأ « الحوار » «نظريا وعمليا» حين أظهر القرآن الكريم قضاياه (العقدية) الالهية ·· وعرض مقابلها قضايا العقائد (غير الالهية) ، فى حوار بليغ اطاره الحسنى (فهما · وقولا) · فبين أصول (الدين الالهى) (وأصول الدين الوثنى) دون مناوشات لفظية ولا استخفاف ··

مقررا مبدأ : (الحكمة ضالة المؤمن أنا وجـــدها · أخذها صلى الله عليه وسلم) ويحدد (الدكتور الفيومى) مرتسمات هذا الحوار عبر مسارين اثنين :

المسار الأول : حوار بين (العرب) بعضهم مع بعض أولا ·

والمسار الثانى : بين (العرب) من جهة (والغرب) من جهة أخرى ·

ولكن حواجز وحساسيات وعقدا تاريخية قد ترعرعت وربت بينـنـــا وبينهم ··

هنا يقول : الدكتور الفيومى :

ولا نقصد من الغرب ذلك المعنى الاستعمارى الذى أورثنا الشحناء والبغضاء ، وقاسينا من ويلاته الدمار ٠٠ انما نعنى منه ذلك المعنى الحضارى النزيه ، وهو حق للانسانية جمعاء ، ونعنى منه التعاون البناء على اثراء الحضارة البشرية ٠ من غير تبعية فى الانتماء اليه أو الولاء له محتفظين فى الوقت ذاته بشخصيتنا ، وطابع تفردنا ٠

خصوصية الحضارة العربية الاسلامية

(٢) اللاتعصب :

وليس ادعاء اذ نقول ٠٠ ان خلفية حضارية ، تقف وراء الانسان العربى المسلم ٠٠ ترجع الى آلاف الأعوام ضاربة فى جذور الحضارة اليمنية القديمة ٠ والأصالة السامية ٠٠ ومن أسف أن يتعامى الباحثون عن تلك الأحقاب الموغلة فى القدم ليسقطوها من حساب ، الحضارة العربية ٠٠ مرتكزين الى حجة واهية ٠٠ انه لا يوجد أى دليل ثابت لجذور تلك الحضارة العربية السامية القديمة ٠٠ متناسين عن (قصد) أو (غير قصد) ٠

ان عدم توفر البحوث والمكتشفات ٠ لا يعنى وجود حضارات ازدهرت ثم بادت بعوامل طبيعية (الطوفان ٠ أو الزلازل) ٠٠ أو من جراء الحروب وما نتج عنها من (دمار وحرائق) ٠٠

والقرآن الكريم يحدثنا عن تلك الظواهر ٠

وهنا يرى الأستاذ الدكتور (الفيومى) أو (أوربا) أو (الغرب) ان هو الا نتاج مباشر أو غير مباشر للحضارة العربية التى نشأت فيما بين النهرين ٠

و ٠٠ (مصر القديمة) ذات الجذور العربية ٠ كذلك يؤكد (بول فاليرى) على أن أوربا وليدة تقاليد ثلاثة ٠٠

١ ـ في المجال الأخلاقي (المسيحية) .

٢ ـ في مضمار الحقوق والسياسة (تأثير من القانون الروماني) .

٣ ـ في حقل الفكر والفنون (التقليد الاغريقي) .

ويضيف (جارودي) الفيلسوف الفرنسي بقوله : « انما ندين للعلم العربي بأهم كلياتنا الطبية .. وفي مقدمتها (كلية مونبلية) .. وان الغرب مدين بالنهضة الى حد كبير . للفتح العربي .. الذي استطاع أن يخلق للظروف الفكرية الضرورية لتفتحه .

وهنا يقرر (الدكتور الفيومي) فكرة أساسية من الحوار .. بعيدا عن التعصب الأعمى بل في سبيل وعي عربي جديد فيقول : « نحن لا نبتغي بالحوار وجهة نظر غربية نتعصب لها .. أو دفاعا عن وضع يعزلنا عن مسئوليتنا الحضارية .. انما نبتغي من الحوار يقظة للعقل العربي ليحسن التفاهم العلمي مع الحضارة .. وننزه العقل العربي .. عن أن يكون به قصور يعوقه عن متابعة التفاهم في رحلته الحضارية ..

ولا يتجاوز (الفيومي) جملة معضلات يعاني منها الواقع العربي .. الا ويشخصها على النحو التالي :

١ ـ اشتداد الضغوط الاقتصادية على بعض المناطق العربية الى حد البؤس . لتورث . أمراضا قاتلة منها (الحدة) (الانقسام) .

٢ ـ في المقابل نجد مناطق أخرى تصاب بالتخمة من مظاهر الرفاه .. والسعادة فتورث هي الأخرى مرض تغليب (المتع الحسية) على حساب المبادىء .

٣ ـ الانقسام والتفسخ في (النزعات والمؤسسات والأجيال) حتى الانتصارات زورها البعض لتبدو أمام عيون الأجيال مشوهة وممسوخة .

هكذا اذا يعانى الواقع العربى (أزمة أوضاع تبث المرارة فى النفوس). هذا الى جانب غياب مفاهيم (الديمقراطية) و (الشورى) لتغليب جـــانب (الشدة والفردية فى الحكم) .

ويشخص (جاك بيرك) أسباب أزمة الواقع العربى .. الى « تخلف الانسان العربى طويلا عن تراثه .. وتجريده من خبراته » .

هذه الأسباب مجتمعة حجبت العقل العربى عن الفهم الطبيعى لفهم الحضارة المعاصرة ..

وأورثت الشخصية العربية ، عقدا نفسية ، تحكمت فى فكرها وسلوكها فأصبحت لا ترى فى الحوار الا جوانب الحساسية التى لا لزوم منها معركة مصير للأمة العربية .

كل هذا جعل الشخصية العربية تعيش تحت وطأة الانفعالات .. حتى لتبدو (النوبة العصبية) عليها .. وأصيبت الشخصيـــة العربية بانفصال حاد قسمها الى ذاتين :

(أ) ذات تفكر بها .

(ب) وذات تعمل بها .. وما أبعد ما بين هاتين الذاتين .

معـوقات الحـــوار

(٣) التمايز :

ومن خلال ملامح هذه الشخصية العربية (المنقسمة) على ذاتها . والتى تعانى جملة احباطات وثوابت جعلتها تجمد فى مكانها . تنهض معوقات فى الحوار .. يطرحها (الدكتور الفيومى) على النحو التالى :

١ ــ يزعم بعض المفكرين . ان التغاير بين الشرق والغرب يعنى اقامة حدود عازلة بينهما ، ويرد (الفيومى) مفندا هذا الزعم بالقول :

« انها قضية مغلوطة يقنع بها بعض المفكرين · حين يجعلون من التمايز الفكرى بينهما مواقف لها حدود عازلة ·· لا يودون معها ·· لين قول ولا حوارا » كما هي فى المسار الفكرى محكومة بالضرورة (بالحوار) ليوازن بين الأبعاد الثقافية والروحية ويزاوج ما بينهما لصالح اثراء الثقافتين (الشرقية) و (الغربية) ·

ويعرض الدكتور الفيومى : لقضية المقابلة الفكرية بين الشرق والغرب · وفق ما يريدون أن يفرقوا بينهما ويمايزون · يقولون : ان الشرق يتجه فكريا الى القول (بوحدة الوجود) اما الغرب ، يتجه فكريا الى القول بالثنائية ، لذا يضعون الشرق (بالمركزية الدينية) لأنه مهد الانبياء والوحى الالهى ··

أما الغرب الاغريقى ·· يوصف بأنه مركزية عقلية ·· لأنه مهد الفلاسفة، والفلسفة والمنطق ·· فالغرب يتجه (عقلانيا) أما الشرق فيتجه الى (اللاعقلانية) · هكذا يفترضون ·· فهل هذه المقابلات القديمة ·· صحيحة ؟ وهل تستند هذه الفرضيات الى حقائق الحياة والتاريخ ؟ حتى طفى على السطح شعار يقول (الشرق شرق) و (الغرب غرب) ·· لا يلتقيان » ·

يرد الدكتور الفيومى بالقول :

« بقصور هذا الموقف الفكرى » و (عدم ارتكازه على تفسير تاريخى يلقى الضوء على مظاهر قد تبدو متنافرة) ·

وعلى هذا لا تصح تلك المقابلات الخاطئة ·· فكل ما بنى على أساس خاطىء ·· ستكون نتائجه خاطئة بالضرورة ·· وهذه النتائج مرفوضة لأنها (ذات انعكاسات سيكولوجية متناقضة) بين (التفاؤل) و (التشاؤم) ·· وهذه النتائج لا تتيح مواجهة حقيقية وندية ·· بين الشرق والغرب لقيام حوار بناء ·· الا من نشوء المظاهر الخادعة ، فى هذا الحوار ·· الذى يتسم بالطابع الخطابى البلاغى ·· وكلا الموقفين يبالغ فى تطاوله بينما قضية التمايز

بين الشرق والغرب هى اضافة ايجابية لكليهما ٠٠ بما يغنى الحضارة وليس العكس ٠٠ فهما وجهان لعملة واحدة ٠٠ لا يستغنى احدهما عن الآخر ٠

النقيضان لا يجتمعان

(٤) الخـــلاف :

فى الفكر الغربى الاغريقى ٠٠ مبدأ (النقيضان لا يجتمعان) بينما يرى الفكر الشرقى الدينى ٠٠ أن هذا المبدأ غير وارد أساسا ٠٠ ويسوق على ذلك أمثلة وشواهد ٠٠ يقلل من أهمية العقلية لديه ، يترتب على ذلك بعـــض الأمور ٠٠ على صعيد الفكر الشرقى ٠٠

١ ـ ضرورة اتصال المتناهى وهو (العالم) (باللامتناهى) وهو (الله) فيما يستحيل تصور هذا الاتصال فى الفكر الاغريقى (العقلى) مطبقا بذلك مبدأ (النقيضان لا يجتمعان) كذلك (اتصال النبى بالله) ليس فيه تناقض بنظر الدين ٠٠ فيما يمتنع هذا الاتصال حسب التفكير (العقلى الغربى)وكذلك فى مسألة (المعجزات) لا يستقيم المبدأ حسبالاتجاه العقلى ٠٠ فيما يصح بالنسبة للفكر الدينى ٠

٢ ـ يتضح أن مبدأ عدم اجتماع النقيضين ٠ ينتمى الى تصورات ذهنية فى العقل الاغريقى ويقع الفكر الاغريقى فى خطأ باقتناعه بأنه من المبادىءالفكرية العامة الكلية المنزهة عن الخطأ » حتى انه أراد أن يفرض على الفكر الانسانى قناعاته ٠

٣ ـ لقدناهض الفكر الشرقى كل دعاوى الهرطقات الفلسفية الاغريقية٠ كذلك قرر الفكر الغربى بأنه لا مجال للقول بوحدة الوجود ٠ « لأن الله من خلال نظريتهم هو ملتقى المتقابلات » ٠

٤ ـ ان مبدأ عدم اجتماع النقيضين اذا صلح فى المستوى (المتناهى)

فانه غير صالح فى (اللامتناهى) لأن هذا المبدأ · عاق (أرسطو) نفسه عن الوصول الى الحقيقة بمستواها الأعلى · فلم يصل الى المعنى الحقيقى لتنزيه الله ·· فلم يفسر الوجود ·· بقدر ما جعل الوجود مؤيدا لمنطقه · وهـــذا هو السبب فى تخلف فلسفة ارسطو عن تقديم تفسير حقيقى لوجود اللـــه وعلاقته بالعالم ·

العربى يتلمس طريقه

(٥) الحيرة :

ولعل ظاهرة (وحدانية) الشرق (وثنائية الغرب) ظاهرة صحية ·· تساعد على دفع عملية الحوار لا تكريس القطيعة والجفاء بينهما · اذ يكمل كل منهما الآخر ·· وهذا ما يراه الدكتور (الفيومى) بقوله :

« وليس كما يقال أن الأول اسطورة» « والثانى مكذوب » رغم ذلـك ظلت القسمة الثنائية بين الشرق والغرب شيئا مألوفا يعتبرها البعض قاعدة ارتكاز ملائمة للمقارنة بين مجتمعين فى السلوك ومظاهره ·· وهى مقسمة ـ مهما بدت مبسطة ـ فهى فى حقيقة أمرها تستعد قيمها مقولات متعاكسة·· يعنى أن العربى حينما يزج نفسه فى الحركة التاريخية ، ليقود معركةتكيفه الحضارى مظهرا وسلوكا ·· ثم يعجز عن دفع ذاته مع الحركة الحضاريـــة ينقلب خاسئا وهو حسير ·· ليقول : « انه سوف يكون نفسه بنفسه ثم يقف حائرا بين سؤالين يطرحهما على النحو التالى :

١ ـ هل أبدأ عصرى من الاسلام ـ كما بدأ أسلافنا ـ وقادوا معركـــة حضارية كبرى ؟

٢ ـ أم أبدأ من مادية مجردة من الحكمة ؟ ·

وهنا : يقف العربى (حائرا) (منصرفا) عن الحوار الفكرى ·· و (اعرض عن عقد حوار بينه وبين النهج الاسلامى) ولجأ الىمقولات فكرية تأملية ···

عمادها مقولا مقولات (التمايز) و (التفرد) الحضارى ٠٠ ليجعلها (طوطما) يسقط عليه عجزه عن التفاعل الحضارى ٠

هذه الحيرة أصابت العربى باخفاق سافر ، وبدأ عندها (منفعـــلا) (طائشا) (مرتبك الخطا) ذا نزعة (مثالية مكبوتة) ٠٠ لذا وجد الشرقى نفسه يتمحور ويدور حول (ذاته) متأملا اياها (فردى) النزعة ٠٠ والسلوك ٠

فما هو الطريق الصحيح ٠٠ للخروج بالعربى من مآزقه الحضـــارية تلك ؟

يرى الدكتور الفيومى : « ان علينا أن نعقد حوارا بيننا وبين المبادىء الاسلامية التى تتحدث عن ضرورة التبادل الحضارى الخلاق » ٠

عائق الاختيارات التاريخية : الازدواجية

ولعلنا أسرفنا فى ادعاء طليعية التراث العربى الاسلامى وتقدمه عـــلى تراثات الشعوب الأخرى ٠ ٠ ولئن كان ذلك لا يضيرنا ٠ بل يمنحنا درجات من الاعتزاز القومى ٠٠ غير أن الغلو فى عقد مثل تلك المقارنات يتحول الى (تعصب) أعمى ٠٠ هو فى المحصلة النهائية ينقلب الى (الضد) ٠

فحينما نبرز سمات التمايز على هذا النحو بيننا وبين الغرب ، فان من شأن هذا الطرح أن يقيم بيننا وبينهم (فوارق عازلة) تصيبنا بالتقوقـع والعزلة ولعل عدم مواجهة قضية الاختيار بين بعدى الحضارة الشرقى والغربى ٠٠ مع رفض الحوار بينهما أوقعنا فى حرج لا مخرج لنا منه الا بشخصيـــة مزدوجة٠ (فكريا) و (سلوكيا) ٠

ويسوق الدكتور الفيومى مثالا : « رجال الفقه الاسلامى الذين يقدمون رجلا ويؤخرون آخرى ٠٠ وهم يواجهون قضايا الاقتصاد من حيث موقفها من الفقه الاسلامى ٠ «البنوك» « التأمين» ٠

كيفية توظيف المال (ويذكر مثالا آخر على مستوى الدولة) عندما تقدم على عمل كتامين ـ وهو نقل الملكية لحق الدولة ـ وهذامن المشكلات الاقتصادية المعاصرة ·· التي ليس لها في مجال الفقه رأى واضح ··

نرى علماء الفقه لم يعلقوا حكمهم ، انما تنهض ببعضهم همم للتحليم ·

وتبلغ الازدواجية عندنا قمتها ·· وذروتها ، حين نمدح النظام الاسلامي، بينما نطبق نظما أخرى ·· ونهاجم الحضارة الغربية فيما نتسول تكنولوجيتها الاستهلاكية ·

وهكذا يرى الاستاذ الدكتور الفيومي اننا أصبحنا نعيش في عالمين متناقضين · عالم الفكر المثالي من ناحية · وعالم الواقع الحياتي من ناحية أخرى ·

لذا فان مبدأ الاختيار بين السلفية والمعاصرة يوقع العربي بالحرج التاريخي · فالتطرف لهذا الاتجاه أو ذاك يؤدى الى اتخاذ مواقف (أحادية) من أبعاد الحضارة (المتعددة المتشعبة) وهذا الاختيار يدق أسفينا بين (الحاضر العربي) و (الماضي التاريخي) ·

ولعل التوفيق بين (المادية) و (الروحية) هو المخرج المعقول ·· اذا ماذا يرى الدكتور الفيومي ؟ يقدم حلا لهذه المعضلة بالقول :

ان علينا أن نتحمل تبعة حوار واضح وعميق حول الهوية العربية ، ومنهجها الاسلامي ·

عائق الانفصام في الشخصية اللاتكيف

ان افتراض مبدأ (الاختيار التاريخي) من شانه أن يرمى ظلالا قاتمة تشاؤمية في الانسان ·· حتى لا يعود ثمة رجاء من المستقبل والحاضر

والماضى .. ولأن الاختيار التاريخى يفرض على هذا الاتساق الانحيازوالتعصب للعصر .. فان .. الماضى « يصبح جثة هامدة وعقبة فى نظر المستقبلين » .

... ولقد وقع هؤلاء بخطأ قاتل حين قالوا : « بأن تخلفنا العربى ناتج عن تمسكنا بتراثنا » حتى استحال التراث لديهم الى مشجب يعلقون عليه عقدهم وفشلهم فى مواجهة العصر . وما كان التراث ابدا سببا لهذا التردى. بل على العكس فان الأمم الأخرى حين نهضت لم تنهض الا بعد أن أعادت استلهام تراثها . وصاغته عبر رؤية معاصرة ..

لذا تسقط كل دعاوى الاختيار لأنها أحادية الرؤية .. حركت فى الانسان مشاعر الكراهية والبغض والزمته بموقف متشنج من الآخرين. « لذا رأينا منعكس ذلك على الواقع العربى مريرا وقاسيا .. اذ عزلته .. وجعلته يقع فى الازدواجية غالب الأحيان .. » بين مظهره الحضارى وسلوكه المتخلف ، وظهرت أعراض ذلك فى عدة أمراض تفشت فى « قلب الحياة العربية » فطفت على السطح تعقيدات ونظم مناورة .. عرقلت كل محاولات قلب التخلف .. وتبلغ المأساة قمتها . حين فرضت هذه المؤسسات والنظم المتناقضة على (انسان بيئتها ضرورة التكيف معها ، فكيف يتأتى التكيف لهذا العربى المثقف أو ذاك فى أوضاع متناحرة غير مستقرة .. ان الانقسام يغرى الحيـــاة العربية (فكريا) و (اجتماعيا) و (اقتصاديا) و (سياسيا) .. الأمر الذى انعكس على الواقع العربى ككل .. مما جعل الروابط التى تراها (شكلانية) و (مظهرية) ليس الا .

وهنا يتساءل الدكتور (الفيومى) كيف نغير الواقع وما هو المنهاج الذى سنسير عليه انه يرى المخرج فيما يلى : «أن نبدأ حوارا من داخلنا » نجمع به بين الذين يتعلقون بالماضى وبين الذين يقبلون على الحياة العصرية » ..

هذه (التوفيقية) (التعادلية) التى يطرحها الدكتور الفيومى .. سبيل وحيد ودواء شفاء لمرحلة منقسمة على نفسها كالمرحلة العربية الحاضرة ..

وينبغى أن لا نتاسى بتجارب أمم لا تماثل ظروفنا نحن فى ظروفنا التاريخية العربية ٠٠ لا مناص من طرح (التوفيقية) (التعادلية) مخرجا وحيدا يوائم بين رؤانا المتناقضة ٠٠ والمنقسمة ٠٠

ومنجاة لنا من التعصب والتطرف والتشنج ٠ فاذا ما حرقنا هذهالمرحلة ووصلنا الى صيغة الوحدة الشاملة على أى نوع كانت (اسلامية) أو (قومية) أو (ليبرالية) عندها يمكن طرح صيغ جديدة ٠٠ تخطوبنا وبواقعنا الى الأمام ولقد نتفق الى حد كبير مع منهج الدكتور : الفيومى ٠ وهـــو اذ يؤسس للتوفيقية فى هذا الاطار انما يضع (الصيغة البديلة) لواقعنا المر والمحزن٠

عائق الاسقاط على الاستعمار واعوانه التقليد

ذات يوم كان (الجنرال دوغول) يضرب على طاولة الاجتماع غاضبا ٠٠ فيما كان ومجلس الوزراء الفرنسى منعقدا ٠٠ وتوجه الى وزير خارجيتهبالقول ٠ لا ٠٠ أيها الوزير ٠ لن يستتب لفرنسا المقام فى سورية ٠٠ لأن تعـــداد سورية يبلغ (٤ ملايين نسمة) يومها ـ نحن نتعامل (٤ ملايين رئيس) ٠

٠٠ لأن كل واحد من هؤلاء العرب يعتبر نفسه رئيسا وزعيما ٠

مثل هذه الحادثة ٠٠ يسوقها الدكتور (الفيومى) اذ يقول « كلما قامت فى الوطن العربى حركة نهضوية اصلاحية ، قام يناهضها اتجاه من بنى جلدتنا وأبناء الوطن الواحد ٠٠ ليقذف هذه الحركة عند أول خطواتها فى الاصلاح٠٠ بشتى التهم ، حتى استحالت كلمة « العمالة للاستعمار والغرب كلمة عادية ودارجة ٠٠ الى حد الغثيان والقرف » ٠

وحتى يستحيل الفكر الغربى وفق هذا التشنج العصبى ٠٠ الى محرك للعداوة والبغضاء انها حساسيات فى غير محلها بلا ريب ٠ وهنا اطرح هـــذا التساؤل ٠٠ من يجيز لنفسه حق تقويم الآخر ٠٠ وبأى معيار قوم وأطلقهذه

الاتهامات . ان هذا الموقف .. يفرض مرجعا تثوب اليه الأطراف المتناحرة .. فمن يقوم من ؟

وتعدى هذا المرض القاتل .. الى قذف المفكرين المستنيرين العرب أنفسهم اذا حاولوا أن يستضيئوا قبساب الحضارة الانسان بشتى نعوت العمالة والارتباط . ومن منا لم يعش جانبا من الاتهامات التى انهالت على الدكتور (طه حسين) حين تجرأ بفكر الليبرالى - التوفيقى أن يطرح تساؤلاته وشكوكه .. حول الشعر الجاهلى .. لقد أقاموا الدنيا حوله وما أقعدوها حتى اليوم .. كل ذلك لجرأة فكرية من الرجل . استكثروها عليه . وليصموا (طه حسين) بالعمالة والارتباط .

وقبض الرشاوى والتعصب المذهبى .. وما الى ذلك ، وسالت من جراء ذلك دماء . وتراكمت حساسيات وعقد .. أتراهم أيضا لا يخلون من العقد أولئك الكتاب ؟

فيقول الدكتور الفيومى :

ولكن متى كان اللقاء الفكرى سبه ؟ .. ولا أبتغى من طرح هذا السؤال الى مشايعة تقليد أوربا ، فنحن لانتبنى ذلك ، انما نتبنى الدعوة الى الحوار الفكرى للحضارة وفى الحوار تفتح للعقل وشعور بأصالة الشخصية ، وتفاعل مع الثقافات . وليس من معانيه التقليد .

وكثيرة هى الأصوات التى تنفر من هذا الحوار يسائلها (الفيومى) « لماذا لا تنفرون من تبعية العرب لاستراتيجية الغرب ، فيما يعلنون ولاءهم المخلص لأهم مشكلتين فى الوطن العربى : هما تحرير الانسان وبناؤه»؟

يقول الدكتور الفيومى :

حقيقة تبعية العرب للغرب الاستراتيجية . كما كانت فى الماضى تكمن فى التبعية الاستعمارية فيما نخضع اليوم نتيجة (التصنيع الغربى) وسياسيا (الانخراط فى ذلك التبعية) ..

وفى نفس الوقت نقوم بالنضال سياسيا للاستقلال ٠٠ بينما نقوم اجتماعيا بتقليد أوربا ٠٠ أليس فى كل ذلك تناقض مفضوح نتبعه فى حياتنا؟

عائق عدم وضوح مفاهيم الاصلاح

ولعل الشرق العربى ٠ قد شهد بعد استقلال شعوبه وأقطاره على تبنى سياسيات بعضها (اصلاحية ليبرالية) وبعضها وصف بأنه (ثورى) ولكننا ونحن نراقب حركة هذا الطرح أو ذلك لا تلبث أن نجد تعثرا وانكفاءا ٠٠ حتى يصل الأمر فى كثير من الأحيان الى اتخاذ قرارات بنقيضها تماما ٠٠ونتساءل ولماذا هذا الاضطراب والخلط ؟!

هنا يحاول الدكتور الفيومى : أن يضع اسسا لتعريف الاصلاحية ٠٠

فيقول : « يحرص المنهج الاصلاحى فى الشرق عادة ٠ على أن يؤكد معنى المصالحة بين القديم والحديث ٠ والثورة فى معناها التجديدى ٠ تتضمن معنى الاعادة للماضى مع رفض أن يكون معناها التغيير الجذرى للاوضاع ـ كما حصل فى أوروبا أو روسيا ـ لأن الماضى لدينا دائم الحياة والحضور » ٠٠

٠٠ لذا يلجأ العربى الى التناسق بين ماضيه وحاضره ليتفادى التصادم بين الماضى والحاضر ٠

هكذا يرى الدكتور الفيومى : المنهج الاصلاحى ٠٠ فيقول عنه :

انه يفتقر الى وضوح مفاهيمه ٠٠ ثم حين نقول (ثورة تجديد) فماذا نعنى بذلك ؟

أهو تجديد فى مفاهيم الاسلام ٠٠ من خلال معايشة المسلم لحياته ؟!

أم هو مصالحة بين القديم والحديث ٠٠ ؟ وهل المصالحة تعنى التنسيق أو الترميم ؟ كلها مفاهيم مطروحة فى حياتنا ٠٠ ويثور حولها نقاش كثير ٠٠

الى حد وصل الصراع بين (السلفيين) و (المستقبليين) حدا كبيرا .. ترى لماذا تتقطع الجسور بين هذا الفريق أو ذاك ؟

هنا يقرر الدكتور الفيومى :

ان الخلاف بينهما لا يعدو أن يكون اختلافا ثقافيا شكل فجوة بين لقاء مفاهيم مناهجهم الاصلاحية .. فأهل القديم يجيدون لغته ، وكذلك أهل الحديث يجيدون لغة المعاصرة .. ومن حيث يعلمون أو لا يعلمون تحتويهم الايقاعات التى قد يدرون مصدرها أو التى لا يدرون عنها شيئا .. انها هوة ثقافية تفصل بينهم .. فهذا يفهم معنى القديم ويحرص عليه .. وذاك يفهم معنى الحديث ويسترف فيه .. وهذا وذاك كلاهما مزور عن الآخر فى غير استغناء .. وماذا عليهم لو قام حوار فكرى بينهما .. خير من احترام يظهر المساطة ويبطن الصراع والكيد .. ويشكل عراقيل متجددة تحول دون التفاهم . حول قضايا تجب مناقشتها والكشف عن مفاهيمها ..

ولعل الحوار خير سبيل لمثل هذا الالتقاء (يفتح عيون من أعشاها التشتت .. ويصالح قلوبا أوجعها الحقد والتنابذ وعقولا أصابها الصداع ، ويجلى الرأى الاسلامى بعد انفعالات بالشعارات المضللة .

ويخط الدكتور الفيومى طريقا : لهذا الحوار يقوم على مايلى :

إنه الاسلام الذى نرتكز عليه فى دعوتنا رسم نهج معنى الحوار حين قال تعالى :

« تولج الليل فى النهار .. وتولج النهار فى الليل » وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى » هذه الآية الكريمة تشير تحول الأشياء من الضد الى الضد . مع المحافظة على معنى الثبات فى التغيير والتغيير فى الثبات .

ونحن نطرح دعوة الحوار الفكرى . هو أن نعود بالحضارة الى معقل الأمان والأمن ونقيم قواعد فيها يقيم الاسلام الأبدية ، فيما نؤكد على المعنى العلمى لنرعى شئون التغير فى حياتنا ، وبذلك نحول دون السقوط .

الدكتور ابراهيم الفيومى ، وهـــذا البحث بقوله ·· « انهـــا دعوة تسوقها الى عقول نام ورعيانها فى المرعى » ·

يقول تعالى : « ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حـــتى يغيروا ما بأنفسهم ان الله سميع عليم ··

وبعـــد

لقد جاءت طروحات (الدكتور الفيومى) لترصد حركة الحياة العربيـــة والاسلامية بكل ما فيها من بؤس وتناقض · وهو اذ يلج هذا المدخل الصعب الجديد فانما يعلم مسبقا أن المرحلة التاريخية العربية لم تنضج بعد بما فيه الكفاية ··

ليرى انسانا عربيا مسلما وقد شفى من (احباطاته) ونزعاته (الغريزية) أو (المادية) فثمة مسارات للتاريخ لابد أن يمر الانسان بها ·· نحن فيما يخيل الى بحاجة الى حرق مراحل كثيرة وهزات نوعية ·· لغربلة اتجاهات مشنجة وتنقيتها من الشوائب ·· كل ذلك من جراء ، ابتعادنا عن منابع الاســلام الصافية وتخبطنا طويلا فى أوهام فردية وخيالات (دوغمانية) حسبناهـــا ـ كما يقول الفيومى ـ تفكيرا وما هى فى حقيقة الأمر سوى أوهام لا تصمد للمناقشة العلمية ولا للزمن · والزمن كفيل باسقاطها ·· ولئن تكرست مثل تلك المقولات ·· فلأن قائليها لا يملكون الرؤية الصافية لحركة التاريخ ·· حتى وان امتلكوا ذلاقة اللسان ··· أو قوة الحرنقات اللفظية ·· فالطبول دائما لكثرة خوائها ذات فرقعة ودوى ··

وأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ·

لقد أثارت محاضرة الدكتور الفيومى نقاشا اتسم فى جانب منه بالعلمية والموضوعية ، وأحيانا بالانفعال ·· كنت أود لا أراه أو أسمعه « لأن الحكمة ضالة المؤمن » ولأن الجامعة منزهة عن الفكر الانفعالى أرجو أن أنشر ما ورد فى ذلك الحوار بأمانة وموضوعية فى ندوة السبت القادم ، باذن الله ·

ندوة العرب

بقلم : حسان عطوان

حوار الحضارات بين الانفعالية والعلمية

ولو كنت فظا [1]

لم يكن التطرف في يوم من الأيام موضع اعتزاز لأحد ·· ولم يكن التشنج ـ ولا سيما في الفكر ـ الا اتجاها مرفوضا ـ لأن القاعدة التي أصلها القرآن ونزلت من عنده تعالى (وجادلهم بالتي هي أحسن) ـ أي حوار كان وعلى أي صعيد وحين نزلت الآية الكريمة ، « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » قطعت كل خطوط العودة على المجادلين بأسلوب الاتهام ·

ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها)·

فلم يعد لمزايد أن يتزيد ·· أو مناكف أن يرفع عقيرته » ·

الحقيقة ضالة المؤمن ، انى وجدها أخذ بها ، سواء كانت في الشرق أو الغرب من يملك عندها حق اتهام أحد ·· أو يفتح على حسابه الخاص ـ اكليريكية ـ جديدة يوزع منها (صكوك الغفران) ·

هذه المقدمة أسوقها ·· وأنا أقرأ ما كتبه أحد المفكرين المسلمين عن الداعية المسلم (محمد عبده) حين اتهم بالشرك والضلال والاتجاه الغربي وما الى ذلك من هرطقات وحين رمى السلطان عبد الحميد (الداعية المسلم جمال الدين الأفغاني) بالعمالة للانجليز واتهامه بالماسونية (الغربية) ·

فمن يقرأ مذكرات السلطان عبد الحميد سيعيد النظر في كثير من قناعاته التي كونها في غياب الوثائق والمراجع ـ أن السلطان كان محبا للمسلمين

---

(١) نشر في صحيفة العرب القطرية ـ السبت ٧ جمادى الثانية ١٤٠١ الموافق ١٩٨١/٤/١١ ·

والعرب · فماذا نفسر اضطهاده (لمحمد عبده) و (جمال الدين الأفغانى) وكلنا نتفق على نزاهتهما ·· أنه الفكر المتشنج الذى يرمى كل من يحاول أن يكون ذا شخصية مستقلة أو فكر حر غير تابع لأحد ·· حتى ولو كان (عبد الحميد) نفسه ، يرمى (بالماسونية) و (الهرطقة) و (الاتجاه غربا) ·

ولطالما شكونا أن الغرب لا يفهمنا ·· هل دققنا قبل أن نشكو ··· لماذا ؟ لأننا ببساطة شديدة ·· حين نعرض قضايانا ننفعل ··

ونريد من الآخرين أن يفهمونا ونحن على هذه الحالة من الانفعال ثم نفترض أننا على حق والآخرون على ضلال ·· ونرمى كل من لا يسير فى ركابنا خطأ أو صوابا ، بالمروق ·

حسنا : لنفترض أننا على حق ·· الا يليق بنا أن نعرض هذا الحق ·· وفق أساليب من الحوار بعيدة عن (الفظاظة) و (الاتهام) لكى يحترمنـــا الآخرون ويقدرون وجاهة حججنا !!

اذا كيف نطالب العالم أن يفهم قضايانا ــ ولا سيما قضايا الاسلام ونحن نتوجه اليه صائحين فى وجهه منفعلين ··

ينبغى أن نتقن لغة الحوار الهادى ·· بادئين بأنفسنا ··

وليس مقبولا ·· أن يفرض أحد رأيه على الآخرين ·· ولا يملى عليهم أسلوب حياتهم ··

··· ألم يقلها سيدنا عمر (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا) ·

ما أكثر ما نعرف ···

ولكن ما أكثر ما ·· (   )

(ج · ع)

حسان عطوان :

لعلنا حين نطرح أسئلتنا الجذرية على الحياة ، فانما نريد من وراء ذلك أن نفهم أنفسنا ، وهذا الفهم أن لم يستند على وعى شمولى لحركة التـاريخ فانما تكون أسئلة مبتسرة وينقصها الدليل ٠٠ (الاستاذ الدكتور محمـــد ابراهيم الفيومى) يسلط الضوء فى كتبه على تلك الأسئلة الجذرية من أنا ، ما هو الكون ٠٠ لماذا هذا الخوف يكتنف الانسان ٠٠

واسمح لى يادكتور الفيومى : أن ارحب بك ، واثير سؤالا أوليا ٠

ما هى المعضلات الأساسية التى تواجه الانسان الشرقى ٠ أمام الحضارة المعـــاصرة يخيل الى أن الانســـــان الشرقى يقف (لا حول له ولا قوة أمام تكنولوجيا الحضارة المعاصرة ٠٠ لماذا ؟!

د ٠ محمد ابراهيم الفيومى :

السؤال فيه صعوبة ، ويحمل مقدما معولا ضد الانسان العربى ٠ وهذا السؤال فعلا يهز كيان الانسان العربى ، الذى يحرص أن يكون انسانا معاصرا ولكن نستطيع أن نرجع قليلا الى التاريخ ، حيث بدايات الأوربى يغزو الشرق باسم الاستعمار ٠٠ ودعنا نتوسع فى التاريخ لنرى رؤية الغربى للعـــربى عموما ٠٠

بعد ما قامت أوربـا بنهضتها ٠ وقد هدمت الكنيسة كمؤسسة مشرفة على التوجيه الثقافى والدينى والفكرى ، تساءل الانسان الأوربى عندما ألغى (سلطة الكهنوت) من أمامه وكان الكهنوت موجها فعالا لأوربا منذ الرومان٠٠ ما السبيل بعد ذلك ٠٠ ؟ هل أقود نفسى بنفسى ٠٠ كان السؤال مشروعا ، وجاءت الاجابة المباشرة تقول : على الانسان الأوربى أن يغير جذر مجتمعه ٠٠ فألغى هيمنة الكنيسة ٠٠ وبذلك أتاح الفرصة للعقل كى يحكم ٠٠ وكان للانسان الأوربى الحق فى هذا ٠ لأن الصف الكهنوتى قد جاوز كل حد يمكن تصوره ، لتوظيف سلطة الكنيسة للهيمنة على المجتمع ٠٠ لصالح الأفـــراد

حسان عطـــوان :

اسمع لى يا دكتور ‥ ولكن البديل الذى قدمه الانسان الأوربى ‥ أوقعه مرة أخرى (بالالحاد) والقلق ‥ وأن تقدم تكنولوجيا ‥ ونتيجـــة خروجه عن الفضيلة الدينية أوقع مجتمعه بالجرائم والانحلال الخلقى ‥ نعم هو تقدم عقليا ‥ ولكنه تخلف خلقيا .

د : الفيومى :

وهذه نقطة هامة ، لكى لا تؤخذ ذريعة التخلى عن (الدين) يعنى التقدم العقلى ، لا ‥ هذه مقوله خاطئة ‥ لأن الدين ليس هو المسئول ‥ بـــل القائمون على نشر الدين بأخطائهم أوقعوا الدين فى هذا الاحراج التاريخى ، وهذا ما فعله الكنسيون ‥ نعود الى احتكاك الشرق بالغرب ‥ منذ الحروب المقدسة ، وما هى بحروب مقدسة ، لأنها تسترت بقناع الدين المسيحى ‥ والمسيحية منها براء ...

كيف يبيحون لانفسهم التبشير الدينى للشرق ، وهو الذى نبعث منـه المسيحية والأديان السماوية ‥

لقد كانت حروبا مزيفة على أى حال ، ومغالطة من أوربا للتاريخ . كـــان هدفها الشره المادى الاقتصادى ‥ اذ طمعت أوربا بلين الشرق وتمسكه ‥ واستطاع الشرق الاسلامى بقيادة المسلم صلاح الدين الأيوبى أن يدحر الغرب. فباءت حملات الغزاة بالفشل . أثر ذلك الدرس القاسى ‥ بدأ الأوربىمراجعة قاسية للذات . فى شتى مناحى حياته هنا ‥ كان للشرق المسلم ، الدور الفعال فى ايقاظ الغرب وجعله يراجع نفسه لتغيير الوضع الأوربى فى عصوره الوسطى ‥ وهنا قامت الثورة الأوربية .

نعـــود للسؤال : وهو اذا الغيت سلطـة المؤسسة الكنسية فما هو الطريق اذا نحو التطور ؟؟!

اعتمد الأوربى ـ على العقـل الانسانى ٠٠ والمنـاهج العلمية ٠ وألغى كل تفكير ميتافيزيقى ، وكان منفعلا بواقع مراجعة الذات ٠٠ وصمم الانسان الأوربى فى أوج انفعاله على ألا يرجع الى الكنيسة وتعسف الانسان الأوربى فى الرفض فأنكر حتى الأخلاق وتجح الأوربى فى خطواته ، مؤكدا ٠

١ ـ أن العقل صالح لقيادة الانسان ٠

٢ ـ أن الكنيسة كانت معوقة للانسان الاوربى والانسانية ٠٠

هذا التغيير أعطى الانسان الاوربى شعورا قويا بذاته ٠٠ وأصبح يحس أن عليه مسئولية تغيير الأوضاع فى العالم ، ورافق هذا التغيير مذاهب فكرية ٠٠ من أهمها ظهور نظرية الاجناس ، معنى هذا هناك ، الجنس الأرى ٠٠ الجنس السامى ٠٠ الجنس الحامى ٠٠٠ الخ ٠

وضعوا فى أعلى السلم (الجنس الأرى أو الأوربى ، وفى أسفل السلم الجنس السامى ـ الشرقى) ٠

هذه كانت نظرة متعصبة مرفوضة تاريخيا ، لأنها انتجت ظهور (المذهب الاستعمارى) و (الاستعلاء العرقى) هذه النظرية روج لها (ارست رينان)٠

واذا كان الغربى يراجع حساباته ٠٠ سيجد أنه اندحر أمام الشرق الاسلامى فى الحروب الصليبية ، فماذا يفعل لو رد اعتباره ؟ ودون غزو مسلح فأنشأ مذهب الاستعمار تحت ستار للانشاء والتعمير ٠ وحدثت المواجهة الحربية ، عندها دخل الغرب الأوربى من خلال هذه النظرة الاستعلائية الاستعمارية ٠٠ بمواجهة الشرق ٠

ومن جراء الغزو استعمرت أوربا الشرق ٠٠

حسان عطـوان :

كما تفحملتم دكتور محمد ابراهيم الفيومي أن الحروب الصليبية، لبست قناع الدين وتسترت وراء هدفها الاستعماري لاقتصاد الشرق .. هو الحقيقة الواضحة ..

وهنا أتساءل .. ربما يتساءل بعض الذين لا يفهمون حركة التاريخ ، فيقولون مادامت أوربا نهضت بعد أن أبعدت الدين من حياتها .. فلماذا لا تفعل نفس الشيء في الشرق . ومع خطأ هذا الافتراض فان بعض المثقفين العرب مثل (لويس عوض) واشباهه ، يطرحون موضوع ، الدين أفيون الشعوب) .. ينبغي أن نرد على هذه الضلالات .

د . الفيـــومي :

ان الذى يضع (أوربا) مثالا له لا يستوعب الدرس جيدا .. لأن الكنيسة كانت سلطة من جانب . وسنت تشريعات اجتماعية لحفظ هيئتها كطبقة فوق البشر وصية عليهم في الاسلام .. لا يوجد هذا ولم توجد مثل هذه الوصايات. الاسلام يساوى بين الناس . والمسيحية الأصلية ذاتها كدين . لا تدعى أنها تملك نظرية متكاملة للحياة (اقتصاديا أو سياسيا أو اجتماعيا .. هى فقط تقوم على (المحبة) و (الاخلاق) .

أما الاسلام .. فهو دين متكامل . ويقدم نظرية متكاملة وصائبة للتطبيق فهناك اختلاف واضح لصالح الاسلام . لأن الاسلام جاء كاملا ومكملا وخاتما لجميع الأديان .. فنسخها جميعا .. لأنه جاء للناس جميعا على عكـــس (اليهودية) وجاء نظاما أخلاقيا واقتصاديا واجتماعيا على خلاف المسيحيـــة الأخلاقية فقط .

واذا .. لا مجال للمقارنة بين الدين الاسلامي .. وبقية الأديان السماوية القاصرة على وضع الحلول الناجحة للبشرية .. فكان الاسلام هو البديـــل

الموضوعي ٠٠ لقصور تلك الأديان ٠٠ واكتملت المسيرة الدينية على يد(محمدبن عبد الله) صلى الله عليه وسلم من يومها كان الاسلام عالميا انداح دائرة اثر دائرة حتى اتسعت الدولة الاسلامية ٠٠ واتسعت التشريعات ٠ وكانالرسول٠ (صلعم) لكل الناس حيثما كانوا ٠٠ فالاسلام اذ يختلف كلية عن المسيحية لشموليته وقدرته على التطبيق فى كل زمان ومكان ٠ والاسلام وهو اذ يؤسس للدولة الاسلامية ٠٠ كان له مواقف مع الأديان السابقة عليه اتخذ موقفا نقديا منها ٠٠ ونلاحظ أن القرآن كان ناسخا لماقبله لأنهم حرفوا فى المسيحية ، وانه لا دين يضاهى الاسلام وعليه لم تعد الأديان الأخرى قادرة على قيادة الانسان بل الاسلام هو الأقدر على هذا ٠ وهذه هى رؤية الاسلام للمسيحية (بأنها غير قادرة على قيادة الانسان) ٠٠ ولقد جاء الدليل على صحة هذه الرؤيـــة الاسلامية ٠٠ والمبرر لوجود الدين الاسلامى وانتشاره ، بعد أن تبين فشل وعجز المسيحية عن قيادة الانسان الأوربى بعد أن أصابها ما أصابها منتحريف ٠٠ لذا ٠ نحن نطرح الاسلام بديلا وشافيا لمعضلات الانسان حيثما كان ٠٠ اذا فهمنا معنى الاجتهاد فيه ٠

وتخلى أوربا عن المسيحية وسلطتها فى عصر النهضة ، يؤكد مصداقية النظرة الاسلامية وليس العكس ٠٠

أما اليهودية : فهى مغلقة ولا تدعى فى الأساس التبشير ٠٠ فالذيـــن يريدون من المسلمين أن يتجهوا نهج أوربا يقعون فى خطأ البداية لأية دورة ٠٠ لأن الاسلام هو الثورة الانسانية الذى يمنح الانسان الحرية والكرامة والعدل والمساواة ٠٠٠ وما الى ذلك ٠٠

حسان عطوان :

وعليه لا يكون الاسلام هو المسئول عن تخلف الشرق ٠٠ بل المسئول هو تخلفنا نحن المسلمين ٠٠

د . الفيومى :

طبعا .. بدليل أن الاسلام نجح فى تأسيس دولة عظيمة ، وفى بنـــاء الانسان حمل الرسالة بجدارة . حتى أصبح مضرب الأمثال فى العلم والفكر والشجاعة والأخلاق .

الارادة العربية المعاصرة .. هى التى ضعفت وتخلفت عن فكرها الاسلامى بل وعن مواكبة دينها الاسلامى. هذا التخلف أوجد هوة واسعة. عشش فيها كثير من الأفكار بعضها مشكك فى النظام الدينى (الاسلامى) وبعضها يبغى التقليد لأوربا . وبعضها قد انتابته حالة الذهول التام ، فليست المشكلة اذا هى مشكلة دين .. لأن الدين الاسلامى لا يجعل لطبقة دينية حق الوصاية على الناس أو تستطيع أن تؤمم الأفكار .. أو أنها تشرف بهيمنتها على الفكـــر الانسانى أو غير ذلك .

بل نقول : ان الدين الاسلامى فيه عوامل البقاء والنضج ، مما يتيح للعقل الانسانى أن يتعامل معه .. عن طريق الاجتهاد وذلك ليس موجـــودا فى المسيحية .. لأنها تقر عصمة البابا وهذه العصمة مرفوضة لديننا .. منذ أن توفى الرسول صلى الله عليه وسلم .. لم نسمح بها لأحد .

نحن ازاء تخلفنا المعاصر .. علينا أن نراجع حساباتنا ، فهل الضعف فى الاسلام أم الضعف فى الانسان العربى ؟ وما هى عوامل هذا الضعف ؟ !

حسان عطـــوان :

لو سمحت دكتور فيومى .. أن نتطرق الى عوامل ضعف الانسان العربى

د . الفويمى :

من عوامل ضعف الانسان العربى :

١ ـ التنكر للتراث العربى الاسلامى من قبل المؤسسات والأجيـــال المعاصرة ..

٢ ـ دعوات المصلحين المتنافرة ، والمتناقضة أحيانا .. فهذا يدعو الـى السلفية وذاك يدعو الى القومية .. وهذا يدعو الى الاقليمية .. أو الليبرالية أو الالحادية أو الرأسمالية ..

٣ ـ تكدس الأموال دون توظيفها توظيفا يخدم الانسان العربى للتقدم الحضارى ..

٤ ـ الهوة الشاسعة بين الأيديولوجيات المطروحة فى الوطن العربـى والخلخلة فى أوضاع الاقتصاد العربى .

٥ ـ كثرة الهزات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .. وبروزقيادات غير مؤهلة على رأس الحكم .

٦ ـ كثرة المؤتمرات العربية وبروز خلافات فيها .. وتكريس هـذه الخلافات . الأمر الذى ينعكس سلبا على الانسان العربى ، ويوظفها الاستعمار لخدمته .

٧ ـ فردية الانسان العربى .. وتخلفه التكنولوجى .. وجعله مستهلكا لتكنولوجيا الغرب دون قدرة على ابتكار التكنولوجيا ..

٨ ـ عدم الانتماء الفكرى للاسلام .. أوقع الشخصية العربية بالاستهواء الحضارى للغرب فتعطلت قدراته .

حسان عطوان :

أما على الجانب النفسى ، فانه يقال : ان الشخصية العربية (انفعالية) (غضبية) (عاطفية) وهذا الانفعال يحد من طاقة الفكر والعقل ويعطلهما .. وهذا ما أوقع العربى فى كثير من الأحيان بعدم قدرته على تبين أهدافه ..

بوضوح وارتكاسات الانسان العربى كثيرة • لذا يبدوا تطوائيا فرديا حزبنا احيانا •

د • الفيومى :

كما ذكرت يا أستاذ حسان••فان‌هذه‌الافتراضات ترجعنا الى(سيكلوجية الشعوب) وتقسيم الأجناس للشعوب •• تحدثنا عن نظرية‌ة تقسيم‌الأجناس• وهى مرفوضة وبعد تقدم أوربا ذاتها رفضت أوربا تلك النظرية فى تقسيم الأجناس •• لأنهـــا تصبح سبة فى تاريخ الانسان الأوروبى •• لأنهـــا فى الأصل نبعت من فلسفة (القوة) وهى نظرية باطلة (، لأن التميز يتـم عن طريق التقدم الثقافى • والثقافة مكتسبة لا جنسية أو فطرية فى‌شعب من الشعوب •• وكل شعب قادر على اكتساب ما شاء من ثقافة ، وعندما أصبحت الثقافة اكتسابا ، رفضت النظرية العرقية •• أعود الى ما طرحـه الأستاذ/ حسان حول الشخصية العربية •• هناك اتهامات كثيرة للعربى •• من أنـه (كسول بطبعه) _ (ويكره العمل) و (أن العربى منفعل) أو (يتكلم كثيرا) و (يحرص على البلاغيات) و (الكلمات المنمقة) هذه يمكن أن تكون محاسن أو مساوىء فالعقل الانسانى لا يعدم أن يحسن القبيح ويقبح الحسن •

فهل هذه الأوصاف موجودة فى الانسان العربى •• لعوامل فطرية أم تاريخية ؟!

قطعا أن لها عوامل تاريخية كثيرة ••

••• فالعربى له تجربة مع التاريخ •• فلماذا اذا برأى المشككين فى الانسان العربى •

طبعا : هناك مبالغات فى اتهام العربى •• ولكن الواقع المر : هو الذى يوقعنا بالحرج لأننا نرتكب أخطاءا تعزز ما يقوله المشككون فى الانســـان العربى ••

وحين (تسقط الشاه تتكاثر عليها السكاكين) •• أما الانسان العربى فيه (منافية) وفيه (مثالية) ••

كتب للمؤلف

اولا ـ دراسات فى الفلسفة والفكر الاسلامى :

١ ـ القلق الانسانى ـ الطبعة الثانية ـ الناشر الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٩ .

٢ ـ الاسلام واتجاهات الفكر المعاصر ـ الناشر مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٧ .

٣ ـ فى الفكر الدينى الجاهلى قبل الاسلام ـ الناشر عالم الكتب سنة ١٩٧٩ ، ودار القلم ـ الكويت ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٨٠ .

٤ ـ ملاحظات على المدرسة الفلسفية فى الاسلام ـ الناشر الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٩ .

٥ ـ رسالة فى الحوار الفكرى بين الاسلام والحضارة ـ عالم الكتب سنة ١٩٨١ .

ثانيا ـ دراسات فى الاجتماع :

٦ ـ مقدمة فى علم الاجتماع الدينى ـ الناشر مكتبة الأزهر سنة ١٩٧٤ .

٧ ـ قضايا فى الاجتماع الاسلامى ـ الناشر الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٧ .

ثالثا ـ دراسات فى الشخصيات :

٨ ـ الامام الغزالى وعلاقة اليقين بالعقل ـ الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٦ .

٩ ـ النزعة العقلية عند الامام الشافعى نشر بعضه فى مجلة الوعى الاسلامى بالكويت وبعضه فى مجلة منبر الاسلام بالقاهرة .

رقم الايداع ٤٧٩٦/ ١٩٨١
الترقيم الدولى ١ - ٤٠ - ٧٣٢٥ - ٩٧٧

مطبعة اطلس - ت ٧٤٧٧٩٧ - القاهرة

26
36

الثمن ١٥٠ قرشا